التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 171 السنة العشرون - فبراير 2022

إصلاح صناديق التقاعد .. من أين يبدأ؟

أوجاع الاقتصاد

16

حدّثونا بما يقنع

10

لا للتطبيع

الجمعيات السياسية تدعو لرفض التطبيع البرلماني

4

موقفنا

قبل التصويت على «تعديلات» التقاعد

يستعدّ مجلس النواب للتصويت على الاقتراحات الحكومية ب»تعديل» قانون التقاعد، وهي اقتراحات مرفوضة شعبياً على نطاق واسع، كما كان الحال مع زيادة ضريبة القيمة المضافة إلى 10٪، ومع ذلك فإن مجلس النواب، بغالبية أعضائه مرر تلك الزيادة، رغم الموقف المشرف لعدد من النواب في رفضها، بل إن النوّاب الذين مرروا تلك الزيادة، وافقوا على مقترح بتحويل جلسة التصويت عليها إلى جلسة سرية، في وهم منهم بأن ذلك سوف يخفي موقفهم المتخاذل تجاه حقوق الشعب، عن أعين الناس.

ليس مستبعداً، بل أن هذا هو المرجح شعبياً وفي داخل مجلس النواب أيضاً، أن يتكرر السيناريو نفسه عند مناقشة والتصويت على «تعديلات» التقاعد، بأن يجري تحويل الجلسة، مرة أخرى، إلى جلسة سرية، ومن ثم "تمرير" المقترحات الحكومية، والتذرع باستئناف الزيادة السنوية على معاشات المتقاعدين البالغة 3٪ والتي جرى إيقافها، مع أن الأمر لا يعدو كونه ذراً للرماد في الأعين، حيث أن إعادة تلك الزيادة سيكون لمدة عامين فقط، ثم يجري توقيفها ثانية.

في المدّة المتبقية قبل نظر المجلس في المقترحات الحكومية والتصويت عليها، مطلوب من مؤسسات المجتمع المدني كافة، وخاصة النقابات، وكذلك الجمعيات السياسية على اختلاف توجهاتها وكافة التيارات والتكوينات المجتمعية، حشد الموقف الشعبي الرافض لتلك المقترحات والضغط على النواب كي لا يمرروها على غفلة كما فعلوا مع زيادة ضريبة القيمة المضافة، وفي تاريخنا الحديث تجارب تدّل على جدوى ذلك في حمل النواب على الالتزام بإرادة الشعب، لا تلبية طلبات الحكومة.

عدد أعضاء مجلس النواب أربعون نائب، يمثلون أربعين دائرة في البحرين، ومطلوب من ناخبي وأبناء كل هذه الدوائر إيصال رسالة واضحة لممثليهم في المجلس بضرورة الإصغاء إلى أوجاعهم ومعاناتهم المعيشية متعددة الأوجه، وألا يزيدوها ويفاقموا منها بتمرير "تعديلات" الحكومة على قانون التقاعد، والمساس بمكتسباتهم، ولدى الناخبين في ذلك وسائل عدّة، بينها التواصل الشخصي المباشر مع النواب، أو توجيه رسائل لهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو حتى بصياغة عرائض شعبية يوقع عليها أبناء كل دائرة وتوجه لنائبها تحمل هذه الرسالة بوضوح.

وإذ نقدّر مواقف النواب الذين أعلنوا مبكراً رفضهم لتلك التعديلات، وفي مقدمتهم رفاقنا في كتلة "تقدّم" الذين أصدروا بياناً واضحاً بهذا الخصوص، فإننا ندعو بقيّة النواب إلى الامتثال لنداء ضمائرهم وإرادة ناخبيهم، ويسجلوا موقفاً مشرفاً سيحسب لهم.

التقدمي

67 عاماً على المسيرة النضالية لجبهة التحرير الوطني

في هذا الشهر سيمضي 67 عاماً على تأسيس أول حزب سياسي ماركسي في البحرين والخليج العربي، عندما قرر الرواد الأوائل من الرفاق تأسيسه في الخامس عشر من شباط/ فبراير ليعلنوا عن بدء مسيرته النضالية، كحزب العمال والكادحين والمثقفين الثوريين تحت اسم (جبهة التحرير الوطني)، حزب وطني وأممي، يركز على قضايا الوطن والنضال من أجل تحقيق مطالب الشعب، بإنجاز الاستقلال الوطني والحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، ورحيل المستعمر البريطاني من بلادنا وإقامة النظام الوطني الديمقراطي القائم على العدل والمساواة والديمقراطية.

وبصفته حزباً للطبقة العاملة اهتم وركزّ نشاطه على العمل النقابي والمطالبة بتشكيل النقابات العمالية في مواقع العمل المختلفة ودفع الرفاق النقابيون الثمن غالياً بالسجن والمنفى والمطاردة والفصل من العمل، وعملت جبهة التحرير الوطني على تشكيل المنظمات الجماهيرية النسائية والشبابية والطلابية، كما ساهم رفاقنا الأوائل بنشر الأدب والثقافة التقدميين في أوساط الشعب.

قادت وشاركت «جتوب» في الانتفاضات والتظاهرات والاضرابات والمسيرات العمالية والطلابية خلال مسيرتها النضالية والكفاحية الطويلة، وعربياً كانت جزءاً لا يتجزء من حركة التحرر الوطني العربية، ووقفت وتضامنت مع قضايا الشعوب العربية العادلة، وبشكل خاص القضية الفلسطينية، مؤكدة على حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس ووقفت ضد سياسة التطبيع مع الكيان الصهيوني من قبل الدول العربية التي بدأها الرئيس المصري الراحل السادات بالتوقيع على اتفاقيات كمب ديفيد مع الكيان الصهيوني في عام 1979.

أما على الصعيد الأممي فإن «جتوب» نسجت علاقات واسعة مع العديد من حركات التحرر الوطني في العالم وشاركت في لقاءات ومؤتمرات الأحزاب الشيوعية والعمالية في العالم، وأكدت على التضامن مع نضال الشعوب ضد الاستعمار والامبريالية ونيل حقوقها في الحرية والاستقلال الوطني والديمقراطية والسلام .

التقدّمي: العام الماضي شهد محطات قوّضت مكتسبات شعبية

قال المنبر التقدمي بأن: «البحرين مرّت خلال العام المنصرم بمحطات قوضت استحقاقات وطنية وطالت مكتسبات ظنّها الشعب بأنها من المسلمات التي لن تمس مع تراجعات مست جوهر الحياة لدى المواطنين ونالت من قوتهم ومستوى معيشتهم».

وأشار «التقدمي» في بيان له بمناسبة حلول العام الجديد إلى أن: «أهم المحطات التي يتذكرها شعب البحرين هو قرار مضاعفة القيمة المضافة وتبعاته، والتوجهات والقرارات التي أوجعت المتقاعدين ومست دخولهم ومعيشتهم سواء من خلال وقف الزيادة السنوية، أو غيرها من الإجراءات التي تعطي الصلاحية لتسخير الصناديق الوطنية ذات الصلة بأموال التأمينات الاجتماعية التي هي بالأساس أموال المتقاعدين»، وتابع البيان:» إضافة إلى المساس بمدخرات «تمكين» وصندوق الأجيال وفي غياب الشفافية اللازمة لتوظيفها في غير وجهتها في الوقت الذي يتأسى المواطن من غض نظر الدولة للعديد من أوجه الهدر وسوء إدارة المال العام».

وواصل البيان: «يضاف إلى ذلك ما تواتر من إجراءات تضيّق على حرية الرأي والتعبير وتقويض الممارسة السياسية عبر قرارات منها ما حال دون ترشح العديد من الكوادر الوطنية التي تمارس العمل السياسي المشروع من الترشح لعضوية مجالس الأندية والجمعيات المهنية والخيرية، وخلقت جداراً عازلاً بين هذه الكوادر والطاقات واندماجها في المجتمع»، وأضاف: «لا يمكن الفصل بين الحياة العامة والعمل السياسي وأن التمثيل في الأندية والجمعيات والاتحادات والنقابات نماذج للعمل العام الذي ليس بالضرورة سياسياً، رغم أن واقع الأمر أن كل عمل سياسي يندرج تحت مظلة الحياة العامة».

ونوّه البيان إلى: «الحاجة الماسة لتطوير مسار العمل البرلماني، والحزم في التعاطي مع المخالفات والتجاوزات التي وثقها ديوان الرقابة الإدارية والمالية في تقريره العام الماضي، ومع مظاهر التعديات والهدر والفساد على المال العام وسوء الإدارة في العديد من المواقع، كما نستذكر الإجراءات المرفوضة التي طالت بعض نشطاء الميديا التي استهدفت تقييد نشاطهم».

في ندوة التقاعد بين ديمومة الصناديق وحقوق المتقاعدين

الضغط الشعبي والمجتمعي مهم حتى لا تمرّ تعديلات التقاعد كما الضريبة

قال عضو مجلس النواب عن كتلة تقدّم فلاح هاشم بأنه: «في 2018 كان هناك رفض مجتمعي تولد عنه رفض نيابي لقانون التقاعد الذي قدّمته الحكومة والذي كان يحوي العديد من التعديلات التي تنتقص من مكتسبات المتقاعدين».

وأشار هاشم في ندوة بعنوان (التقاعد بين ديمومة الصناديق وحقوق المتقاعدين) التي نظمّها المنبر التقدمي إلى أنه «قبيل إقرار قانون الضريبة كانت هناك أصوات رافضة ولكن ليس هناك ضغط مجتمعي وضغط من مؤسسات المجتمع المدني لرفض القانون وهو ما ساهم في موافقة بعض النواب على القانون، رغم المعارضة الشعبية الواسعة له»، وتابع: «حاولنا في كتلة تقدّم حشد الأصوات النيابية لرفض القانون واستطعنا ان نحصل على 15 صوت نائب يرفض القانون، ولكنها لم تكن كافية لعدم تمريره».

وتساءل: «فيما يتعلق بقانون التقاعد الذي يناقش الآن، فأين مواقف الإتحادات العمالية كمثال، وأين ضغط مؤسسات المجتمع المدني»، منوهاً بأن: «الكل يكتفي بتصريح صحفي حول الموضوع دون تحرك فعلي لتكوين ضغط مجتمعي على النواب والشوريين لرفض قانون التقاعد الذي سيناقش ويقر قريباً».

من جانبه، قال العضو السابق في مجلس إدارة الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية الدكتور حسن الماضي بأنه: «لضمان ديمومة الصناديق لا بد من تصحيح بعض الأخطاء، أهمها هو فصل رواتب الشوريين والنواب والبلديين عن صندوق التقاعد، فإما أن يتم إيقاف تقاعدهم أو تتكفل الحكومة بدفع اشتراكاتهم في الصندوق».

ووصف الماضي وضع الصناديق التقاعدية ب «غير الصحي»، واعتبر بأن: «هناك مخاطر قد تتعرض لها الصناديق التقاعدية وفق الخبراء الإكتواريين الذين أكدوا بان الوضع الحالي يسمح بصرف المعاش التقاعدي لمدة 8 سنوات فقط».

وبيّن الماضي بـأن: «تخفيض الاشتراكات عن أصحاب العمل والتي استفادت منه كبرى الشركات والمؤسسات التجارية فوّت الفرصة على الصناديق التقاعدين للاستفادة من 250 مليون دينار خلال السنوات الماضية».

وبيّن بأن: «رفع سن التقاعد إلى 65 سنة لن يضيف الكثير إلى ديمومة الصناديق»، لافتاً إلى أن: «التقاعد المبكر لن يؤثر على صندوق التقاعد نظراً لما يتحصل عليه المتقاعد من معاش لا يتعدى 40٪».

ودعا الماضي إلى: «إصلاح وضع استثمارات الصناديق، والأخذ بالدراسات الاكتوارية التي طرحها الخبراء، وإعادة اشتراكات الاجانب إلى الصناديق».

فضفضة

الفرصة الأخيرة

عيسى الدرازي

يتجه مجلس النواب، على الأغلب، لإقرار التعديلات الحكومية على القانون التقاعد. وكما دارت أحداث مسلسل إقرار قانون ضريبة القيمة المضافة ستدور ذات الأحداث لإقرار تعديلات التقاعد وستكون حجج النواب الموافقين على تمرير تلك التعديلات موسومة بالزيادة السنوية وصرفها للمتقاعدين. بالطبع دون تبيان أن تلك الزيادة التي سيستخدمونها كأداء لتمرير التعديلات هي زيادة وقتية محددة، وفق مقترح الحكومة بسنتين فقط، وفي المقابل سيتم تمرير رفع سن التقاعد إلى 65 سنة، وتغيير حساب متوسط احتساب الراتب التقاعدي، وخفض الراتب التقاعدي بنسبة 6٪ لكل من يتقاعد قبل بلوغ الـ60 سنة.

ليس فقط المتقاعدون من ينتظر على وجل خروج القانون بتعديلاته المتوافق عليها بين الحكومة والنواب إلى العلن، وحتى هذه اللحظة لم تتضح طبيعة هذه التعديلات ومدى التوافق الحكومي – النيابي حولها، فكل المشتركين في صناديق التقاعد إضافة إلى المتقاعدين والداخلين الجدد في سوق العمل ينتظرون ما ستخلص إليه المناقشات، آملين بمرارة لأن يصدح صوت الشعب في بيت الشعب بدلاً من أن يصم المجلس آذانه عما ينادي به الناس.

إنها الفرصة الأخيرة التي قد يمنحها الناس للمجلس، بعدما مرّ قانون الضريبة المضافة بصورته الدراماتيكية، لا ينتظر الناس الكثير من غالبية الأعضاء خصوصاً الذين دأبوا على التصوير في مواقع التواصل الاجتماعي وبث مقاطع مصوّرة لهم وهم يتوعدون ويتعهدون وفي نهاية المطاف ظهرت أسماءهم باللون الأخضر عند التصويت.

قد، وأقول قد، يبدأ الناس في تغيير الصورة النمطية التي زرعت في أذهانهم عبر سنوات بأن المجلس ليس نداً لما تريد الحكومة تمريره من قوانين، بل أن ما يقوم به بعض أعضاء المجلس من تمرير بعض القوانين المرفوضة شعبياً ما هو إلا انتحار سياسي، والوقوف مفتوح الصدر أمام سيل الإنتقادات الشعبية التي لن تنسى تلك المواقف عند وقوفها أمام ورقة الاقتراع، ولنا في المجالس السابقة عبرة.

عدد من النواب وفي مقدمتهم كتلة «تقدّم» حذروا من مغبة تمرير تعديلات قانون التقاعد بصورتها الحالية، وأكدّت على عدم المساس بالحقوق والمكتسبات التقاعدية تحت أي ظرف، وضرورة إيجاد بدائل مبتكرة كي لا يضار جموع المواطنين من المشتركين في التقاعد، وأصحاب المعاشات التقاعدية جرائها، كما دعت إلى عدم ربط موضوع إرجاع الزيادة السنوية على المعاشات التقاعدية للمواطنين كحق مكتسب للمتقاعدين بالموافقة على أية تعديلات أخرى.

ولكن الوقوف أمام إقرار تلك التعديلات يحتاج رفض غالبية أعضاء المجلس لها، وهو المطلوب أن يتحمله بقيّة النواب.

جمعيات سياسية في بيان مشترك:

لا يمكن للبرلمان مخالفة الإرادة الشعبيّة وإقامة علاقات مع برلمان الكيان الغاصب

شددت الجمعيات السياسية على رفضها القاطع لكل محاولات التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، وأبدت كل الاعتزاز والتقدير لمواقف شعب البحرين تجاه القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني وحقه المشروع في إقامة دولته المستقلة، وقالت إن تصريحات سفير هذا الكيان التي أدلى بها مؤخراً إلى صحف محلية وأشار فيها إلى أن أولوية كيانه تتمثل في بناء علاقات دافئة مع البحرين، وأن هناك مخطط للالتقاء بقطاعات أهلية إلى جانب قطاعات حكومية وتجارية، وكشف عن طلب من برلمان الكيان الصهيوني للتواصل مع البرلمان البحريني، هي تصريحات مرفوضة ومثيرة للاستهجان كونها تتجاهل حقيقة مواقف شعب البحرين الثابتة المساندة للقضية الفلسطينية العادلة والتي عبّر عنها دون لبس في العديد من المناسبات والمواقف.

وقالت الجمعيات السياسية الموقعة على هذا البيان: المنبر التقدمي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، والتجمع القومي الديمقراطي، بأن: «موقف البرلمان البحريني لا يجب بأي حال وتحت أي ظرف أو ضغط كان أن يخالف الإرادة الشعبية ويقيم علاقات بأي مستوى مع برلمان الكيان الغاصب»، محذرة من: «تبعات هذا الخطوة التي سيحمل وزرها كل نائب يوافق ليس فقط على التواصل مع برلمان الكيان الغاصب وإقامة علاقات معه بأي شكل من الأشكال، بل حيال كل أوجه التطبيع وعلى كل المستويات مع الكيان الصهيوني، وهذه مسؤولية تقع اليوم على عاتق كل نائب لا يحق له التنصل منها تحت أي مبرر كان وتعلن الجمعيات عن استنكارها لبقاء هذا البرلمان صامتاً لغاية اليوم عن اتخاذ أي موقف برفض اتفاقيات التطبيع مع الكيان الغاصب».

نادر كاظم: الانتفاضات الوطنيّة إحدى أدوات توحيد الأمة في البحرين

قال الباحث الأكاديمي الدكتور نادر كاظم: «إن بناء الأمة في البحرين هو تحديداً في تحويل الكتلة المتشابكة ممثلة في التركيبة السكانية المعقّدة من الخيوط إلى جماعة متخيّلة واحدة»، وتابع: «اضطلعت ثلاث قوى أو أدوات بهذه المهمة وهي: الدولة، وشركة نفط البحرين (بابكو)، والانتفاضات الوطنية منذ العام ١٩٣٨».

وأشار كاظم في ندوة له نظمها المنبر التقدمي بعنوان (بناء الأمة في البحرين) إلى إنه: «لا يمكن فصل بناء الأمّـة في البحرين كجماعة متخيّلة عن بناء الدولة كجهاز إداري مركزي بما فيه من مؤسسات وقوانين وتنظيمات للحكم أو الرقابة أو الإشراف أو التنظيم»، مستدركاً: «السبب أن أدوات التوحيد الأولى التي سمحت بتخيّل الأمّة في البحرين كانت أدوات حكومية بالدرجة الأولى».

وأوضح بأنه: «حين جاء تشارلز بلجريف، مستشار حكومة البحرين من العام 1926 حتى العام 1957، كانت البحرين، كما كتب، عبارة عن مجتمع منقسم لا على أساس طائفيّ واثني فحسب (سنيّ وشيعيّ، وعرب وبحارنة)، بل حتى على أساس حضري، فهناك (اختلاف حادّ في البحرين بين سكان المدن وسكان القرى) حسب وصف بلجريف».

وقال كاظم: «اضطلعت أجهزة الدولة الإدارية، حديثة التكوين خلال عشرينيات القرن العشرين، بمهمة تحويل تلك الفئات القاطنة في البحرين إلى «أمة، وذلك عبر شقّ الطرق، وتشبيك الجـزر والبلدات والقرى بشبكة مواصلات واتصالات (طرق وشوارع وجسور وإذاعـة وشبكة هاتف وتلفزيون)، وبناء المدارس وتعميم التعليم في المدن والبلدات والقرى».

وواصل: «قامت شركة نفط البحرين (بابكو) بدور توحيدي مهم، لأنها مثّلت واحدًا من مواقع العمل الأولى والأساسيّة التي جمعت آلافًا من العمّال القادمين من كل مناطق البحرين وما هي إلا سنوات قليلة حتى توحّد هؤلاء القادمون من كل مكان في مطالب ومصالح عمّالية واحدة».

وبين بأنه: «إذا كان بناء الأمّة هو حصيلة توحيد إثنيّات وطوائف وجماعات وقبائل في جماعة متخيّلة واحدة، وتحويل تلك الفئات القاطنة في البحرين إلى أمة، فإن هذه المهمة اضطلعت بها في البحرين ثلاث قوى أساسية (الدولة الحديثة، وشركة نفط البحرين، والانتفاضات الوطنيّة)»، وتابع: «مثّلت هذه القوى أدوات التوحيد الثلاث الأساسية، وعملت، بتزاوج قصص نجاحها وآلامها، وبوعي أو بدون وعي، كأدوات التاريخ التي كتبت فصول السيرة الملحميّة لبناء الأمّـة الحديثة والجماعة الوطنيّة في البحرين منذ بدايات ثلاثينيات القرن العشرين حتى أواخر سبعينياته».

هاشم: إجراءات «التأمين الاجتماعي» تؤخر صرف مستحقات عائلة المتوفي لمدد تصل لـ 6 أشهر

أشار عضو مجلس النواب عن كتلة تقدّم النائب فلاح هاشم إلى أن: «توفير الحماية لأسرة المتوفى المؤمن يصطدم بإجراءات تحول دون تحققه بصورته الفضلى بسبب تأخر هيئة التأمين الاجتماعي في صرف مستحقات هذه العوائل التي ينص عليها القانون لمدد غير قصيرة تصل في بعضها إلى خمسة أو ستة أشهر على خلاف ما كان يعمل به سابقاً».

وأوضح هاشم بأنه "من مهمات التأمين الاجتماعي توفير الحماية لأسرة المتوفى من عاملين مؤمن عليهم أو من عوائل أصحاب المعاشات، والحفاظ على الوضع المادي والاقتصادي لأفراد أسرة المتوفى تطبيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي نص عليه دستور مملكة البحرين، خاصة أن دخل الأسرة يتوقف مباشرة برحيل معيلهم، وهذا ما ضمنته جميع أنظمة التقاعد البحرينية أيضاً».

ودعا هاشم إلى: "تحديد فترة زمنية لا تتجاوز الشهر الكامل من تاريخ الوفاة وتقديم ما هو مطلوب من مستندات ووثائق تثبت حالة الوفاة، فإن التأمينات الاجتماعية ملزمة بمراعاة الأوضاع المعيشية لأفراد أسرة المتوفى صاحب المعاش والعمل على سرعة انهاء الاجراءات المطلوبة في الفترة المحددة، درءا لأية أضرار ربما يحدثها فراغ انقطاع مصدر المعيشة وحفاظا على استقرار الأسر والأفراد أصحاب المصلحة».

منوهاً إلى أن: "تأخير معاملات هذه العوائل بدون مراعاة لظروفهم الإنسانية بسبب فقدانها لمعيليها وانقطاع دخلها أي مصدر الرزق الذي تعتاش عليه ولمدد تطول بدون إجابة من المعنيين في هيئة التأمين الاجتماعي أو بحجج عمل دراسة حالاتهم أمر يدعو إلى التساؤل عن جدية هذه الإدارة في ان تكون على مستوى عال من المسؤولية في حفظ كرامة المواطنين ممن لهم عندها مستحقات وهم في أمس الحاجة إليها".

زينل وهاشم يدعوان الإسكان لاعتماد معيار الأقدمية في توزيع الوحدات

دعا النائب يوسف زينل، وزارة الإسكان، لتقييم تجربة توزيع ألفين وحدة سكنية، والتي انتهى توزيعها مع نهاية العام 2021، والاستفادة من ذلك في التوزيعات الجديدة، والممتدة حتى فبراير المقبل.

ونوه إلى أهمية اعتماد الأقدمية معيارًا وحيدًا للتوزيع من أجل تحقيق ذلك، وهو أمر سيمكن الوزارة من تلبية طلبات العامين 2001 و2002 بشكل كامل، وربما طلبات ما بعد ذلك، وتحقيق تقدم فعلي على صعيد حلحلة الملف الإسكاني.

وأضاف: يتعين على الوزارة تسريع وتيرة الإنجاز في المشاريع الإسكانية، والعمل على تقليص المدة من حصول المواطن على شهادة الاستحقاق إلى لحظة تسليمه مفتاح الوحدة، وهي مدة تصل لسنوات وتمثل في واقع الأمر تمديدًا لفترة الانتظار بدل أن تكون خطوة فعلية لتلبية الطلب وإنهاء مدة الانتظار.

وبدورة دعا عضو مجلس النواب عن كتلة تقدّم البرلمانية النائب فلاح هاشم وزارة الإسكان إلى الالتزام بالمهنية والعدالة في توزيع الطلبات الإسكانية، مشيراً إلى أهمية: «الالتزام بمعيار الأقدمية والشفافية في التوزيعات بين جميع المناطق ».

مشدداً على ضرورة: "معالجة موضوعات أصحاب الطلبات القديمة الذين لم يتم إعطاؤهم استحقاقاتهم في التوزيعات السابقة"، معتبراً بأن: "الوزارة لم تنفذ التوجيه السابق بمهنية وبعدالة، خاصة بالنسبة لأصحاب الطلبات القديمة».

وأوضح هاشم بأن: "أعداداً كبيرة من أصحاب الطلبات التي تعود إلى الأعوام بين 2000 –2004 في الدائرة الخامسة بالمحافظة الشمالية لازالوا يشتكون من عدم تلبية طلباتهم رغم إرسال جميع طلبات أهالي الدائرة للوزارة، والتي يرجع طلبات عدد كبير منها إلى الأعوام من 2000 والأعوام اللاحقة".

«تقدّم»: يجب عدم الربط بين التعديلات المقترحة وحقّ المتقاعدين في الزيادة السنوية

طالبت كتلة «تقدّم» النيابية بعدم ربط موضوع إرجاع الزيادة السنوية على المعاشات التقاعدية للمواطنين كحق مكتسب للمتقاعدين بالموافقة على أية تعديلات أخرى، رافضة أن تكون هناك أية مساومات عليها، «خاصة في موضوع إيقاف الزيادة السنوية 3٪ والتي تعدّ عبارة عن المعادل السنوي لمستوى التضخم وزيادة تكلفة الحياة المعيشية، والتي في حال إيقافها ستتناقص القيمة الفعلية للمعاشات التقاعدية عامًا بعد آخر، مما سيجر معه الكثير من المواطنين تدريجيًا للإنحدار إلى مستوى معيشي منخفض، وهذا ما يتعارض مع ما تعهدت به الحكومة في برنامج عملها بالحفاظ على مكتسبات المواطنين، كما سيتعارض في حال تمرير المشروع وبالمآخذ الواضحة على بنوده مع مبدأ المحافظة على قيمة الدخل لشرائح واسعة من المواطنين.

جاء ذلك في رسالة مستعجلة رفعتها الكتلة إلى لجنة الخدمات بمجلس النواب عشيّة اجتماعها مع الحكومة لمناقشة هذا الموضوع، الذي وصفته الكتلة في رسالتها بأنه «من أهمّ المواضيع التي لها من التأثير المباشر على معيشة جميع المواطنين والأسر.

وختمت الكتلة رسالتها بالإشارة إلى أنها سبق وأن تقدمت للجنة بمرئيات «تقدّم» التي راعت فيها «الحفاظ على مكتسبات المواطنين ومسألة ديمومة الصناديق التقاعدية، كما أكدت فيها على «أهمية عدم المساس بالحقوق والمكتسبات التقاعدية تحت أي ظرف وضرورة إيجاد بدائل مبتكرة اقترحنا عليكم بعضًا منها لكي لا يضار جموع المواطنين من المشتركين في التقاعد وأصحاب المعاشات التقاعدية جرائها».

بنوك تشترط تأمين الأقساط وصمت «المركزي» حيال الفوائد المرتفعة

قال النائب يوسف زينل إن بنوكًا تخالف توجيهات مصرف البحرين المركزي والغاية من تأجيل أقساط القروض، بوضعها شرطًا يتمثل في دفع مبلغ يصل إلى 180 دينار للتأمين على تأجيل الأقساط. وأكد زينل تناقض ذلك مع فلسفة التأجيل القائمة على تخفيف الأعباء عن المواطنين لا زيادتها.

وتابع: يعلم الجميع أن الإقدام على تأجيل الأقساط، هو خيار المضطرين ممن باتوا يعانون جراء الصعوبات الاقتصادية والمعيشية، ما يعني حاجتهم الماسة للمبالغ التي سيوفرها التأجيل.

ووجه زينل نقدًا لمصرف البحرين المركزي، على خلفية إتاحة خيار تأجيل أقساط القروض البنكية. وأضاف: تطبيق التأجيل من قبل بعض البنوك أدى لخلق تعقيدات بات معها التأجيل سبب لزيادة الأعباء عبر اشتراط دفع مبلغ التأمين، وفرض فوائد فاحشة يصل مجموعها في بعض الحالات إلى أكثر من 3 أضعاف مجموع الأقساط المؤجلة.

واعتبر زينل ذلك جشعًا لا مبرر له ينبغي أن يواجه من قبل المصرف المركزي عبر تفعيل الرقابة على البنوك وعدم ترك الحبل على الغارب بما من شأنه الإضرار بالمواطن.

مطرقة البرلمان

إصلاح الصناديق التقاعدية.. من أين يبدأ؟

حالة القلق التي أحدثها ويُحدثها مشروع قانون التقاعد الجديد المعروض منذ ما يقارب العام امام لجنة الخدمات في مجلس النواب، مبررة وبالامكان تفهم أسبابها ودوافعها، ويمكن للمتابع لردود الأفعال والمخاوف التي يحدثها هذا المشروع أن يتلمس عن قرب حجم المعاناة والخوف من المجهول الذي ينتاب شرائح واسعة من المتقاعدين او الذين يقتربون للدخول قريبا ضمن فئة المتقاعدين من الرجال والنساء.

عبد النبي سلمان

المشكلة لا تكمن أساساً في مبدأ التعديلات بحد ذاتها بقدر ما هي في طبيعة ونوعية التعديلات المقترحة وما ستحدثه من آثار اجتماعية واقتصادية وحتى نفسية، فهي من جانب محدد ودعائي تبدو أنها ترمي فقط، وكما هو معلن رسمياً، واصبح معروفاً لدى رجل الشارع العادي بأنها ضرورية لتحقيق استدامة الصناديق التقاعدية وتقليص عجوزاتها، خاصة صندوقي التقاعد في القطاع العام والصندوق الآخر في القطاع الخاص، وهذا الأخير اصبح لزاما عليه ان يتحمل أعباء الصندوق الآخر في حقيقة الأمر وكل ذلك وبفعل كافة الممارسات والتجاوزات والفساد الذي جرى طيلة الفترة الممتدة منذ انشاء التأمينات الاجتماعة سنة 1976 وحتى الآن، بالإضافة طبعاً إلى القرارات غير الحصيفة وغير المدروسة التي تسببت في استنزاف مستمر للصناديق التقاعدية وعلى وجه التحديد في صندوقي التقاعد العام والخاص.

ومن خلال ما اصبح معلناً يبدو واضحا أن التوجهات الحالية القائمة تتجه لإصلاح ما أفسدته تلك الممارسات التي لم تتوقف على الرغم من تشكيل ثلاث لجان تحقيق نيابية منذ العام 2003 وحتي تاريخه، ولم تشفع كل تلك التوصيات والمعالجات التي رفعت للحكومة وباتت معروفة لدى المتابعين لهذا الملف الهام والحساس والخطير في آن، في تحقيق ولوحتى بعض الإصلاحات المطلوبة.

كما أن الجهات المعنيّة بإصلاح أوضاع التأمينات لم تحرك ساكناً طيلة السنوات الطوال الماضية واكتفت في كل الحالات إما بتطمين الناس بصلابة الموقف المالي للصناديق أو في بعض الأحوال بإخافة المتقاعدين والمشتركين على حدٍ سواء بما يصدر من تقارير اكتوارية مفزعة، والتيً استخدمت في الكثير من الأحوال كأداة للضغط على المشّرعين وعلى عموم المتقاعدين والمشتركين في التأمينات من أجل القبول بالحلول الصعبة والتي يعلم مطلقوها أنها دائما ما كانت تأتي في الأوقات المعيشية والاقتصادية الصعبة.

المشروع المطروح طيلة الأشهر الماضية أمام لجنة الخدمات بمجلس النواب يستند على بنود ستة صعبة لا مجال هنا للشرح حولها أكثر، وكان بالإمكان تفادي معظمها منذ فترة طويلة لو لم تنم مجالس الإدارة المتعاقبة في العسل، ولو سخّرت العقول الاقتصادية الحقيقية للتعاطي مع أوضاع الصناديق بشكل علمي واقتصادي واستثماري مدروس، بدلاً من كل هذا التخبط الإداري والاستثماري الذي أوصلنا في نهاية المطاف إلى أوضاع صعبة لا نحسد عليها في كيفية التعاطي مع أوضاع صناديقنا التقاعدية، وهذا مؤشر يدلنا على ضرورة تغيير النظرة النمطية القائمة حيال مختلف قضايانا، والتعاطي بشكل شفاف معها اقتصادياً ومالياً وعبر إرادة ووعي سياسي ومجتمعي لا يجب أبداً أن يستند على الحلول الترقيعية أو حتى على النوايا وحدها بل على العلم والإدارة الواعية المسؤلة وإحلال الكفاءات وتحقيق المساءلة.

الجهات المعنيّة بإصلاح أوضاع التأمينات لم تحرك ساكناً طيلة السنوات الطوال الماضية واكتفت في كل الحالات إما بتطمين الناس بصلابة الموقف المالي للصناديق أو في بعض الأحوال بإخافة المتقاعدين والمشتركين

سبق أن دعوتُ منذ أسابيع إلى أن يقوم الناس بدورهم في دعم ومساءلة ومتابعة وحتى توجيه من سيشرعون باسمهم تحت قبة البرلمان ليس فقط في مسألة التقاعد والتأمينات بل في مختلف الملفات، فالنواب يحتاجون في هذه الفترة كما في كل الفترات إلى الإسناد، لا إلى التقريع أو التفرج عليهم عن بعد وهم يرتكبون خطأ هنا وزلة هناك، فالمسألة ليست نزهة في نهاية الأمر والقرارات التي ستتخذ ستكون مصيرية وستتحملها الأجيال الحالية والقادمة ما لم يحدث أي تغيير ايجابي مستقبلا على قانون التقاعد.

وهنا يجدر القول إن قوى الضغط المجتمعية من جمعيات سياسية ونقابات واتحادات عمالية ومؤسسات مجتمع مدني وشخصيات مؤثرة هي الأخرى تتحمل مسؤولية الضغط باتجاه تحقيق إصلاحات وازنة ومتدرجة ومدروسة بعناية، تأخذ في الحسبان ما هو ممكن معيشياً وما هو غير ممكن في ظل ما هو قائم من أوضاع صعبة، خاصة في ظل استمرار ردّات الفعل التي عايشها الشارع البحريني ولازال بسبب إقرار زيادة ضريبة القيمة المضافة الأخيرة إلى 10٪ بأغلبية ثمانية أصوات، بالإضافة إلى تجمد أجور السواد الأعظم من المواطنين منذ ما يقرب العشرين عاماً، ومع توقف زيادة المتقاعدين السنوية والتي هي معادل لنسبة التضخم المعلنة، علاوة على دخولنا مع العالم من حولنا ضمن تداعيات جائحة كورونا والتي تسببت في كل هذا الخراب الاقتصادي عالميا، يصبح من نافلة القول إن أي معالجات مقترحة للوضعين الاقتصادي والاجتماعي تحديدا، باتت تستدعي اليقظة والوعي وتحمل المسؤلية بدلاً من الإسترخاء وتقاذف المسؤليات بين الفرقاء دون طائل!.

توظيف 1402 أجنبي في الحكومة خلال جائحة كورونا

قال الوزير المشرف على جهاز الخدمة المدنية، إن الجهاز تلقّى 24 ألف و674 طلباً لموظفين بحرينيين من الخاضعين للخدمة المدنية، وذلك بعد إعلان الجهاز 168 شاغرًا وظيفيًا، من خلال منح الموظفين الخاضعين للخدمة المدنية فرصة التقديم للوظائف الشاغرة في مختلف الجهات الحكومية بغرض الحصول على فرص وظيفية أفضل.

وكشف الوزير في ذات السياق عن توظيف 1402 من غير البحرينيين خلال جائحة كورونا، منهم 1194 موظفًا في الوظائف الطبية والطبية المساندة، وذلك بسبب ظروف جائحة فيروس كورونا والحاجة الماسة للجهات الصحية للقوى العاملة في هذا الظرف الاستثنائي والطارئ للتصدي للجائحة، و158 موظفًا للقطاع التعليمي، و50 موظفًا موزعين على الجهات الأخرى ممن يشغلون الوظائف التخصصية.

وذكر الوزير أنه تم خلال السنوات الثلاث الماضية إنهاء عقود 1815 غير بحريني في القطاع الحكومي، وتحديدًا في الفترة من مطلع 2019 وحتى منتصف نوفمبر الماضي، مشيرًا إلى أنه في ذات الوقت تمّ توظيف 4598 بحرينيًا في السنوات الثلاث الماضية، وذلك في الفترة من مطلع 2019 وحتى منتصف نوفمبر 2021، موزعين على مختلف الجهات الحكومية.

«الأيام» - 15 يناير 2022

نقابة طيران الخليج تطالب الشركة إشراكها في القرارات

أشارت النقابة الوطنية لعمال شركة طيران الخليج إلى الكثير من أوجه القصور والملاحظات المرتبطة بسياسات توظيف وترقي العمالة البحرينية في شركة الناقلة الوطنية. وطالبت النقابة في اجتماعها مع لجنة التحقيق البرلمانية بشأن الشركة بإشراك النقابات في القرارات المرتبطة بمجال عملها، كما تسمح بذلك القوانين والقرارات الصادرة بهذا الشأن، وذلك بغرض تعزيز الدور النقابي في الحفاظ على المكاسب العمالية في الشركة، مؤملين ان تسهم جهود لجنة التحقيق البرلمانية ومجلس النواب في تعزيز تلك المكاسب والارتقاء بإنتاجية العاملين في الشركة تعزيزا لدورها المأمول في الاقتصاد الوطني.

كما شدد ممثلو النقابة الوطنية لعمّال شركة طيران الخليج على أهمية وضع خطط واستراتيجيات واضحة للتوظيف والشواغر الوظيفية المستقبلية بالشركة للبحرينيين بصورة أكثرشفافية، مؤكدين ضرورة توظيف الكوادر الوطنية في الشركة والاعتماد على العنصر البشري البحريني والسعي للمحافظة على الاستقرار الوظيفي للعمالة الوطنية في الناقلة الوطنية والاستفادة من الخبرات البحرينية.

من جانبه جدد رئيس لجنة التحقيق بشأن طيران الخليج عبد النبي سلمان النائب الأول لرئيس مجلس النواب استياء أعضاء لجنته من عدم التعاون الذي تبديه إدارة الشركة ومجلس إدارتها تجاه ما رفع إليها حتى الآن من تساؤلات، مؤكدا أن الغرض من إنشاء لجنة التحقيق هو انتشال الشركة من تراجعاتها المستمرة وتخبط قراراتها الإدارية والتي أفقدت الشركة التي يزيد عمرها عن الستة عقود موقعها التنافسي على مستوى المنطقة نظرا لغياب المعالجات الحصيفة والتخبط والفوقية في القرارات غير المدروسة وآن الأوان لوضع حد لكل هذا الهدر في الموارد المالية والبشرية التي تذهب بكل أسف لصالح الشركات المنافسة على حساب تراجع الموقع الريادي للشركة.

«أخبار الخليج» - 6 يناير 2022

وزير المواصلات: البحرينيات يعزفن عن وظيفة مضيفات الطيران

أكـــدّ وزيـــر المـواصـــلات والاتصالات كمال أحمد أهميّة الاستثمار في المواطن البحريني وتمكينه وتدريبه.

وقال خلال مشاركته بجلسة مجلس النواب إن شركة طيران الخلـيـج وظـفـت 100 طيار بحريني خلال 3 سنوات وبلغت نسبة البحرنة في الطيارين نحو 84٪. مشيرا الى وجود خطط مع تمكين لتدريب مجموعه جديدة من الطيارين.

ولفت الى أن التحدي الاكبر يتمثل في بحرنة المضيفين، وذلك عائد لكون معظمهم من الاناث مما يشكل صعوبة في العثور على البحرينيات الراغبات بشغل هذه الوظائف، نظرا لطبيعة العمل وذلـك يبلغ نسبة البحرنة في المضيفين 38٪.

«البلاد» - 11 يناير 2022

وزير العمل: 500 عاطل أشركوا في برنامج «فرص»

العاطلين

أكدّ وزير العمل على التعاون القائم بين وزارة العمل وهيئة تنظيم سوق العمل، منذ أن بدأ الإعلان عن الوظائف الشاغرة في الجرائد الرسمية، أما عن برنامج «فرص» فالوزارة أشركت 500 عاطلاً في البرنامج منذ انطلاقته. وأكدّ الوزير أن العمل قائم على زيادة الأعداد في هذا البرنامج، إذ أثبت نجاحه من خلال تأهيل المشاركين فيه، وان عدداً منهم تمّ توظيفهم.

«الأيام» - 21 يناير 2022

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

الرقابة على الاتحادات العمالية من أجل الصالح العام للنقابات

أكدّ النائب سيد فلاح هاشم أن النقابات والاتحادات العمالية من مؤسسات المجتمع المدني ومن المفترض أن يكون لها دور واسع في حياة المجتمع، وفي الدفاع عن حقوق أكبر شريحة في المجتمع وتحسين ظروف حياتهم.

وأوضح أنه لا يدعو إلى تدخل الجانب الرسمي أو إشراف حكومي على المنظمات النقابية بمطالبته بأن يتضمن عمل جهاز ديوان الرقابة المالية التدقيق المالي والإداري على الإتحادات العمالية، بل أن مطالبته هي من أجل الصالح العام للنقابات وأعضائها.

ونوه إلى أن البحرين بها نشاط مشترك وتساهم فيه تلك الاتحادات، وبما أن الحساب الختامي للميزانية العامة للدولة يشير إلى رصد مبالغ تدفع إلى هذه الاتحادات من الميزانية العامة، فإن ذلك يستتبع حق عموم المواطنين وليس الأعضاء فقط في معرفة صحة أوجه صرف هذه الأموال التي تصرف من المال العام.

«الوطن» - 19 يناير 2022

الضريبة تخلق الإبداع .. حدثُونا بما يقنع!

سمعنا .. قرأنا .. ولم نفهم نحن الذين أدمنا على متابعة أمور محيرة وغير مفهومة !
الحديث تحديداً عن ضريبة القيمة المُضافة التى فرضت علينا مضاعفة منذ بداية العام، فرضت دون إصغاء الى أنين المواطنين المقهورين الطيبين، فى الصدارة منهم ذوى الدخل المهدود، والذين جميعهم ينتظرون على أحرّ من الجمر فتح الطرق المؤدية الى تحسين أوضاعهم والنهوض بواقعهم، كما ينتظرون البدايات النموذجية المقنعة المؤدية إلى معالجات فعلية لملف البطالة، وملف تنظيف الفساد، مطلوب ذلك بكل أمانة واخلاص بالأفعال لا بالأقوال والأرقام الهوائية والشعارات والتطمينات التى تتكدس على كل الجبهات يوماً بعد يوم!

خليل يوسف

لن نذهب بعيداً، فنحن هنا نركز تحديداً على "الإيجابيات المبهرة" التى بشّرنا بها بعض النواب والشوريين، هؤلاء الذين كادوا أن يشعرونا أو أشعرونا وانتهى الأمر بأنهم من طينة اخرى غير طينتنا، كونهم يَرَوْن بأن التهويل والهواجس والمخاوف وكل الزوبعة المثارة حول التداعيات المحتملة لتطبيق هذه الضريبة لا مبرر لها، ومبالغ فيها، وأن على البحرينى ألا يعكر مزاجه وأن يطمئن إلى غده، وان لايخشى شيئاً، وأن المطلوب منه فقط أن يدعم ويساند ويتجاوب من أجل العبور إلى بر الأمان، كما عليه أيضاً ألا يكون أنانياً وان يدرك المسؤولية، وعليه «أن يزيد من جرعات المواطنة وان ينظر فى موضوع الضريبة بمنظور ايجابى"، أليس هذا ماصرح به احدهم، وكله منشور وموثق ويمكن الرجوع اليه فى اي وقت!

لا أتحدث هنا عن الشعارات ولا التطمينات ولا الفذلكات، ولا تحليلات من هم يُعدّون اقتصاديين وكتاباً وخبراء وأصحاب أعمال ونواب وشوريين وكل من أدلي بدلوه فى شأن الضريبة واقتحم مجال التحليل والتشخيص، كل واحد منهم ظهر وكأنه يقول لنا وبمنتهى الوضوح لا تكترثوا لكل من حذّر وهدد وتوّعد من مغبّة هذه الضريبة، بل وظهر احدهم وكأنه يقول لنا لا تكونوا سذجاً بتصديق هؤلاء الذين لا يَرَوْن فى الضريبة إلا سلبيات، ودعانا – فى عادة شائعة فى هذا البلد تجاه كثير من الأمور – إلى عدم التهوين أبداً من وقع "الإنجاز" الذى ستحققه هذه الضريبة، وأنه يتوجب على المواطنين المغلوبين على أمرهم ان يتكيفوا مع همومهم ويصبرون على أوجاعهم ان يقتنعوا بان فرض الضريبة ستكون لصالحهم، وأنها ستحسن من "رفاهيتهم"، وعليهم ايضاً أن يقتنعوا بأن كل اللغط المثار حول الضريبة والذى لم يتوقف عن التوالد لا يقوم على أساس، وأنّ كل التعليقات المنتقدة والرافضة لهذه الضريبة غير دقيقة، وغير مقنعة ومرتبكة ومربكة، وحتى غير منطقية، ولا تنظر لموضوع الضريبة وتداعياتها المحتملة بموضوعية، او من زواياها المختلفة، وأن اصحاب هذا الرأي يغذون روح الإحباط والتذمر، احذروا!

يمكن علاوة على ذلك التمعن فى هذا الذى بشرنا به أحد أعضاء مجلس الشورى، فما قاله مثال نموذجي نستخرجه من من جملة تصريحات تمّ تداولها على نطاق واسع فى مواقع "السوشال ميديا" تستحق التوقف والتأمل، فبالنص يقول "الضريبة تخلق الإبداع، والإبداع يخلق الاقتصاد، هى لا تفرض كعقاب، بل بالعكس هى تُنمينا، وتنمي قدراتنا، وتجعل منا دول متقدمة، ومتحضرة، وتعطينا رقيّاً ورفعة فى الرأي والرأي الآخر، وتحقق لنا استراتيجية قوية " ..!! ، تصريح آخر قال فيه صاحبه إن هذه الضريبة بداية لتغيير ايجابى فى بناء الاقتصاد البحرينى !

أحسب أن هذا وذاك الكلام، وكل ما هو بمستواه أو على شاكلته نصاً وروحاً سيكون حاضراً على الدوام فى أذهاننا فى انتظار تلك العوائد التى بُشرنا بها والتى سيكون من التهور التفريط فيها أو التقليل من شأنها، فقط نتمنى من هؤلاء أن يشرحوا لنا نحن الذين لا نفهم وباستفاضة كيف سيكون حال الطبقات الكادحة الفقيرة التى بالكاد تؤمن كلف الحياة البسيطة وهى تجد نفسها أمام عبء مالى جديد، وكيف سيكون على هذه الطبقات التضحية انتظاراً لحالة الإبداع الموعودة وبقية العوائد التى بُشر بها الجميع.

ربما علينا أيضاً وفى ذات السياق أن نذكر زيادة فى جلاء الصورة بموقف النواب أنفسهم من إقرار قانون الضريبة المُضافة فهو موقف لا ينسى، فنواب قلب الطاولة الذين يبدو أن ثمة مطامح ما تحاصرهم، هؤلاء هم الذين طالبوا ووقعوا على طلب جعل الجلسة سرية، ومعهم الذين اعترضوا علناً وصوتوا بالموافقة سراً، كأنهم كانوا يخشون أن ينكشف المستور، والمستور يكشف التباعد الذى يصل إلى حدود القطيعة بين مواقفهم المعلنة والمواقف فى الجلسات المغلقة، بين أقوالهم وأفعالهم وبشكل واضح وضوحاً يعمي الأبصار ..!

ما حدث فى الجلسة السرية التى جرى فيها إقرار الضريبة وبالأسلوب والطريقة الذى تمّ فيها تمرير الإقرار يثير أسئلة تتبع أسئلة ستظل دون اجابات مقنعة، واحسب أن الإيجابية الوحيدة من موقف النواب هو أن هؤلاء النواب سقطوا فى الامتحان الأخير وبامتياز، والنتيجة ستظهر فى الانتخابات المقبلة، وليت الناخب يتعلم الدرس ولا يرمى صوته فى سلة هكذا نواب، وكل ما علينا الآن شئنا ام أبينا أن نطمئن وأن ننتظر الإبداعات والرقي والرفعة والاقتصاد القوي التى ستخلقها الضريبة لنا، وترك بواعث القلق، فهى كما قال "الحكماء" إياهم لا مبرر لها، وفى الوقت ذاته يصرف هؤلاء وغيرهم أي حديث أو تصريح أو تلميح حول ارتباط اي نظام ضريبي بالشفافية والمساءلة والمحاسبة، ارتباط لم يتحدث عنه أحد من النواب أو الشوريين أو غيرهم من حكماء هذا الزمن، تماماً كما هو الحال بالنسبة لموضوع ضريبة الدخل على المؤسسات والشركات واصحاب المداخيل العليا، تماماً كما هو الحال بالنسبة للفساد والفاسدين، تماماً كما هو الحال مع أمور كثيرة لم يقترب منها أو يلامسها أو ينقب عنها أحد من زاوية أو أخرى، بشكل أو بآخر، ومنها مع الأسف ما يقشعر من هواها الأبدان والأسماع معاً وهى تحكي عن حالها لحالها، قضايا وملفات لم يعد خافياً أنه لم يقترب منها احد، وكأن كل المعنيين قد أداروا ظهورهم عنها، صامدين فى تجاهلهم لها صمود عنتر فى ساحة الوغى ..!

بصراحة

تراجعاتٌ عن المكاسب المدنيّة والنّقابيّة

في هذا الشهر فبراير/ شباط تحلُّ علينا الذكرى ال ٢١ للتصويت على ميثاق العمل الوطني، يُعرف بمشروع الإصلاح السياسي، وسنة الانفراج السياسي تبعت العديد من القرارات كان أهمها إلغاء قانون أمن الدولة وتدابير محكمة أمن الدولة بعد أن ظلا مسلطين على رقاب شعبنا وحركته الوطنية لمدة ربع قرن (١٩٧٥/٢٠٠١)، شكلَّ حدثاً هاماً بإطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين وعودة المنفيين من الخارج، ولاحقاً السماح بالعمل السياسي العلني من خلال الجمعيات السياسية (التي هي بمثابة أحزاب سياسية) وتشكيل النقابات العمالية والعديد من منظمات المجتمع المدني، والسماح بحرية الرأي والتعبير من خلال الصحافة المحلية للعديد من الشخصيات المعارضة وتأسيس صحف جديدة، حدثت نقلة نوعية من حقبة سوداء غابت عنها الحريات العامة والشفافية والديمقراطية، إلى عهد جديد وحقبة مغايرة للماضي، كانت التطلعات والآمال كبيرة نحو مزيدٍ من المكاسب السياسية والديمقراطية تأخذ البلاد لتحولات ديمقراطية حقيقية تؤكد على صواب الطريق الجديد لبناء دولة العدالة الاجتماعية والديمقراطية.

فاضل الحليبي

خلال الواحد والعشرين سنة الماضية حدثت أحداث كثيرة منها صدور دستور مملكة البحرين في فبراير 2002 والجدلٌ الواسعٌ الذي ثار حوله في صفوف القوى السياسية في البلاد، وبالأخص بعد الدعوة للانتخابات النيابية في أكتوبر من عام 2002 ، وبرزت ثنائية المشاركة والمقاطعة، فهناك من شارك وهناك من قاطع من القوى السياسية، بالرغم من عودة الحياة النيابية بعد ربع قرن من الغياب منذ حل المجلس الوطني في 26 أغسطس 1975 يعود بنا الزمن حول المشاركة والمقاطعة للقوى السياسية لعام 1973 عندما جرت أول انتخابات نيابية في تاريخ البحرين في مرحلة الاستقلال الوطني بعد أن أصبحت البحرين دولة مستقلة في أغسطس من عام 1971.

الأهم في الموضوع هو ما جرى بعد أحداث 2011 التي لازالت آثارها السلبية مؤثرة ومؤلمة في مجمل مناحي الحياة في البلاد، الانقسام المجتمعي وبروز الطائفية والتعصب المذهبي والتمييز بشكل لا مثيل له، أضف إليه التراجعات عن المكاسب التي تحققت في بداية الانفراج السياسي في فبراير من عام 2001، على شتى الأصعدة، تفاقم الأوضاع المعيشية في ظل انخفاض أسعار النفط مما أدَّى إلى رفع الدعم الحكومي عن العديد من السلع والمحرقات وغيرها، بروز ظاهرة الضرائب ومؤخراً زيادة القيمة المضافة إلى 10٪، أزمة الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، القديمة الجديدة، وما تعانيه صناديق التقاعد من إفلاسات وسرقات، والضحية هم المتقاعدون وخسارة أموالهم بأسباب لا يتحملونها، تزايد الخريجين الجامعيين سنة عن سنة واتساع رقعة البطالة في البلاد .

قضية المعتقلين والسجناء السياسيين لازالت، هي الأخرى، مستمرة، بالرغم من وجود العقوبات البديلة التي هي خطوة إيجابية ولكنها بطيئة، ويجب الإسراع في تنفيذها لكيلا تتفاقم القضية وتتحول إلى مساجلات حقوقية تؤدي إلى تداخلات خارجية تضع الدولة في وضع حرج، ما يؤكد أهمية حل هذا الملف بأبعاده الحقوقية والإنسانية.

وقف هرولة التطبيع مع الكيان الصهيوني بعد أن تمّ توقيع اتفاقيات عدة معه، وهو المرفوض شعبياً والتأكيد على حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني ودحره وإقامة دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

إفساح المجال لحرية الرأي والتعبير بمزيد من الحريات العامة والديمقراطية وتطوير القوانين والتشريعات وبالأخص منها ما يتصل بالتشريع والرقابة بدل من إصدار قوانين معيقة للعمل السياسي والتحوّل الديمقراطي وإعادة النظر في القوانين والقرارات التي صدرت عن مجلس النواب التي تكبل حركة أعضاء مجلس النواب وتجعل منه مجلساً لا يستطيع أن يقوم بدوره التشريعي والرقابي المناط به ويترك انطباعاً لدى المواطنين بأنه مجلس دون جدوى من وجوده وهناك من يردد هذا، لأن قوته تنبع من فعاليته الرقابية على أداء السلطة التنفيذية والتصدي للفساد وسوء الإدارة، فهل الاستحقاق الدستوري لعام 2022 سوف يكون مختلفاً؟

العزل السياسي لأعضاء الجمعيات السياسية للمشاركة في مجالس الإدارات للأندية ومنظمات وجمعيات المجتمع المدني، لهذا نرى الضعف في أدائها وقلة في أنشطتها وفعالياتها بعيداً عن وباء كوفيد 19 كورونا وماخلفه من إشكاليات في المجتمع من خلال التوقف عن ممارسة أو تنظيم الأنشطة لفترة طويلة امتدَّت لأشهر، فهل يُلغى قرار عدم السماح لأعضاء الجمعيات السياسية بالمشاركة في مجالس إدارات الأندية الرياضية والثقافية والجمعيات الأهلية والمهنية، لتعود الحيوية والأنشطة من جديد بشكل فعال ونشط لجمعيات ومنظمات المجتمع المدني.

بعد مسيرة نضالية حافلة بالعطاء والتضحية من قبل الرواد الأوائل النقابيين من أجل السماح بتشكيل النقابات العمالية والمهنية وإعطاء إجازة رسمية في الأول من مايو، عيد العمال العالمي، تحقق لهم في عام 2003 بإصدار قانون يسمح بتشكيل النقابات العمالية وإجازة رسمية في عيد العمال العالمي، لكن العمل النقابي يعاني اليوم من ضعف وتمزق في وحدة العمال، ما يذكرنا بالهتاف: (الوحدة والوحدة يا عمال) ذلك الشعار الأثير والتاريخي الذي كان يصدح في المسيرات والتظاهرات العمالية ويرفعوه النقابيون والعمال ويصل إلى عنان السماء بأصوات وحناجر العمال بصدق ووفاء للطبقة العاملة وتضحياتها.

أصبح الوباء الطائفي ينخر في الجسد النقابي والعمالي، فلا وحدة عمالية ولا دفاع عن حقوق ومطالب العمال، والكل من الطارئين على العمل النقابي يلهث من أجل الوصول لعضوية مجلس إدارات الاتحادات النقابية ليحقق طموحه الشخصي ويتفرغ لمصالحه والسفر والسياحة في ربوع العالم من خلال المشاركات الخارجية، بالرغم من التضييق والتهديد والوعيد الذي يتعرض له النشطاء النقابيون وأعضاء النقابات من قبل أكثر من مجلس إدارة لشركات عدة بالفصل وعدم الترقية أو الحصول على الزيادة السنوية إذا استمر عضواً في النقابة، لم نسمع بالدفاع أو التضامن مع النقابات والعمال الذين يمارس ضدهم التضييق والتهديد، والوزارة المعينة بأمور النقابات والعمال لا تفعل لهم شيئاً يُذكر، وربما تتواطأ مع هذه الشركة أو تلك ضد النقابيين ومجالس إدارات النقابات.

النداء الأخير (٢ - ٢)

هشام عقيل

(٢) من وجهة التناقض الرئيس، فإنه بعد أفول حركة التحرر الوطني في الحقبة الأولى لمرحلة تعميم الإنتاج الرأسمالي–الكولونيالي (أو التبعية في مرحلة عولمة رأس المال) وتمرحل الدولة الكولونيالية من قومية لتكون سلطوية، يتمحور التناقض الرئيس حول الديموقراطية التشاركية، ايّ ما بين السلطوية) والمشاركة الشعبية
. تتأطر حقول الصراع الطبقي، الحقل الاقتصادي والسياسي والآيديولوجي، بالتناقض الرئيس هذا.

نقولُ بإيجاز بأن الطبقة المسيطرة في البحرين هي البورجوازية الكولونيالية (بكافة أقسامها، وبالتالي تتضمن رأس المال الاحتكاري وغير الاحتكاري)، والقسم المهيمن منها هو بورجوازية الدولة، بينما الطبقة المستغَلة الرئيسة هي الطبقة البروليتارية (المواطنة والوافدة)، ايّ العمال المأجورين في الإنتاج الصناعي المادي بكل أشكاله، والزراعة، والخدمات التي تساهم مباشرة في الإنتاج المادي (مثل الشحن والنقل والتصليح). أما الطبقات المستغَلة الثانوية هي البورجوازية الصغيرة المتجددة (الموظفين) والبورجوازية الصغيرة التقليدية (أصحاب العمل الصغار، والمشاريع الصغيرة، والحرفيين، والصيادين، والمزارعين الصغار إلخ). إن الطبقة القائدة لأي حركة ممكنة هي الطبقة البروليتارية، بينما الطبقة الرئيسية هي الأقسام المتوسطة والمتدنية من البورجوازية الصغيرة المتجددة.

إذن، لا بد أن تكون الاستراتيجيا السياسية استراتيجية مناهضة لرأس المال الاحتكاري، ولكي تكون كذلك عليها: (1) توحيد العمال البروليتاريين (المواطنة والوافدة، وهذا يعني فوراً بأن الشوفينية، والذكورية، والطائفية، والعنصرية هي أمور يجب محاربتها بكل الطرق ممكنة). (2) توحيد العمال والموظفين تحت شعار واحد ضد رأس المال الاحتكاري. (3) لا يُمكن إقامة التحالف ما بين العمال، والموظفين، والبورجوازية الصغيرة التقليدية إلا عبر الجمعيات السياسية الأخرى التي بعضها غير مسموح لها المشاركة في الحياة السياسية العامة، مما يستدعي المطالبة بشكل أساسي لعودة الحياة السياسية هذه. (4) إن البرلمان في البحرين هو نقطة ضعف البورجوازية بقدر ما هو نقطة قوتها.

(2) الاستراتيجيا التكتيكية. إنها تتضمن المفاهيم العملية لتنفيذ الاستراتيجيا السياسية، ايّ أنها دائماً خاضعة للاستراتيجيا السياسية. تعتمد استراتيجيات الهجوم، أو الدفاع، أو التقوية، كلها على الظرف العملي اليومي الملموس وبالتالي لا يُمكن أن نخلط ما بينها وبين الاستراتيجيا السياسية التي هي في موقع ثابت نسبياً. إنها دائماً تُركز على تنفيذ الأخيرة مع دراسة مستمرة لحالة توازن القوى الطبقية نفسها. إنها ايضاً تتضمن الأشكال الملموسة لتنفيذ الاستراتيجيا هذه، وترويج للبرنامج السياسي نفسه، وهي متغيرة: المشاركة في البرلمان مثلاً، أو مقاطعة البرلمان، أو طرق تمكين الهيئات القاعدية، الإضرابات، تحويل الشعار إلى نداء إلخ. إنها ايضاً تُحدد طبيعة الأزمات الاقتصادية والسياسية (أزمة الهيمنة الطبقية، أزمة السيطرة الطبقية، أزمة سياسية عامة، أزمة اقتصادية عامة إلخ).

ثانية، سنقول بإيجاز: الاستراتيجية الدفاعية تقوم على مبدأ الحفاظ على الذات (تغليب الدفاع على الهجوم)، ايّ أنها دائماً تفترض بأن الطرف الآخر هو في وضعية الهجوم؛ استراتيجية التقوية تقوم على مبدأ توسعة قواعد وقنوات العمل الممكنة (التوازن ما بين الدفاع والهجوم)؛ الاستراتيجية الهجومية تقوم على مبدأ تجريد الطرف الآخر من مواقعه (تغليب الهجوم على الدفاع)، ايّ عبر تصفيّة كل العوائق لتحقيق غاية من غايات الاستراتيجيا السياسية.

مثال التجربة البرلمانية وتمرير قانون زيادة ضريبة القيمة المضافة: صوت البرلمان، بشكل مضاد لإرادة الشعب، تأييداً لزيادة ضريبة القيمة المضافة 10٪. ومن ضمن الذين صوتوا رفضاً لهذا القانون عضوين في كتلة تقدم بينما امتنع الثالث. هذه خطوة جيدة وسيقدرها الشعب. لكن هل يكفي التصويت ضد هذا القانون؟ لا يقدس الاشتراكيون البرلمانات مهما كانت ديموقراطية، إذ إنهم يسعون إلى استبدالها بالمجالس الشعبية (أو ما يُعرف باسم الكوميونات أو السوفيتات). لكن لما كان التقدمي فاقداً لبرنامج اشتراكي، ولما كان برنامجه السياسي مُصمم لتكون استراتيجيته التكتيكية دفاعية على الدوام، تجده لم يخطر على باله أن يعمق التناقض البرلماني هذا ولم يخطر على باله أن يلجأ إلى الشعب (أيّ، لتعميق التناقضات).

إن قضية الضريبة المضافة هي المحورية، حقيقة أنه تم تجاوز هذه القضية كمجرد مسألة "تصويت ديموقراطي" هو خطأ تكتيكي وسياسي خطير سندفع ثمنه الباهض في السنوات القادمة؛ هذه حقيقة لن يستطيع أي أحد أن يجادلني عليها، ما لم كان بورجوازياً متخفياً تحت عباءة متمركسة.

هذا مثال، ويبين بوضوح الأخطاء التكتيكية الناتجة مباشرة عن طبيعة البرنامج السياسي. في مثل الوقت، على العكس من المتطرفين، والطفوليين، ومراهقي السياسة، الذين دائماً في انتظار الوقت المناسب للهجوم ولا يؤمنون بشيء سواه، الذين تراهم يسخرون من كُل عاقل يدعو إلى الدفاع، لا بد من الاعتراف بأن كُل شيء يعتمد على الظروف الموضوعية التي تُمكن هذا التكتيك وتستبعد التكتيك الآخر. إن الذين لا يؤمنون بالتراجع، في الوقت الذي يلزم التراجع، خاسرون حتماً. هذا ايضاً يعتمد على صحة وصلابة البرنامج السياسي.

(3) البرنامج السياسي. يطرح البرنامج السياسي المطالب النهائية والهدف النهائي للتنظيم نفسه، ايّ الخلاصة النظرية العلمية المادية للتاريخ. كما أنه يطرح الشكل العام الذي يؤدي إلى هذا الهدف النهائي.

اقترحتُ في مقالتي (يسارنا بحاجة إلى ثورة ثقافية) بأن يعبر كل مطلب في البرنامج السياسي عن مطلب مصغر ونهائي في مثل الوقت، وهكذا لا يتضمن أي مطالب إصلاحية بحد ذاتها دون أن تؤدي إلى استنتاج نهائي بضرورة تجاوز الرأسمالية. كما قلت بإن كُل مطلب اقتصادي عليه أن يكون سياسياً في مثل الوقت. إن واجب البرنامج السياسي تحديد طبيعة نمط الإنتاج الطاغي في البنية الاجتماعية، كما عليه أن يحدد بوضوح طبيعة نمط الإنتاج الذي يهدف إليه. هكذا، يُحدد البرنامج السياسي الشكل الحقيقي للصراع الطبقي في المجتمع والأطراف المشاركة فيه. وهذا طبعاً كُله مفقود في البرنامج الحالي.

المؤتمر العام ل»التقدمي» قادم، وها نحن ذا أمام طريقين. بلا شك، من الممكن أن أكون قد بالغت في تقدير اشتراكية رفاقنا. لعلها لم تعد تثير اهتمامهم، ولعلهم بحاجة إلى وعي اشتراكي أولاً؛ فالبرنامج الاشتراكي هو الذي يحدث وعياً اشتراكياً عند الجماهير، ولكن البرنامج الاشتراكي هو نتيجة الوعي الاشتراكي لأعضاء أي تنظيم. المؤتمر العام قادم ونتائجه ستبين بوضوح كُل هذه التساؤلات، ولكن نحن أمام حقيقة واحدة في كل الأحوال: إما يبقى التنظيم بورجوازياً صغيراً (ولا بأس بذلك، إن كان صادراً عن قناعة لكن عليه أن يعترف بذلك) وإما أن يكون تنظيماً اشتراكياً حقيقياً. هذا هو فعلاً النداء الأخير. النرد سيرمى وسننتظر.

ليلة الإقتحام

آه يا سعيد، كلما تذكرت مأساة قتلك، لا أعرف ما إذا كان علّي أن أبكي دماً من أجلك، فقد كنت عاشقاً كبيراً لوطنك، منذ ذلك الزمن وأنا أقرأ أشعاراً شهدت إنهيار عروش وقيام أخرى، ديوان شعرك، كتاب للحنين والأشواق والوطن والحبيبة، طالبوا بضرورة تفتيش كلّ المكتبات الوطنية وغير الوطنية، كل النسخ المتبقية التي سرقت عقول العمال والكادحين الذين تحولوا إلى وهج داخل الكلمات والحروف ووجدوا أشواقهم في غوايات شعرك، فصدرت الأوامر بحرق كل من وجد في بيته ورقة من ديوانك الذي أطلقت عليه: (إليك أيها الوطن.. إليك أيتها الحبيبة)، فكانت تلك الحروف تغوي العشاق، فالحرف الذي لا يغوي صاحبه مصيره الموت، فكشفت بأشعارك حقائق الدنيا ومظالم السلطان والحكام، وأشعلت ثورة في الرؤوس وفي النفوس، فألّفت همك وأحزانك وأشجانك في شعر نادر أرّق عيون محبي شعرك في انتظار المزيد دون جدوى، فقد مزقوك.

حميد الملا

حاربت قسوة الإبتذال، ووقفت شامخاً كالنخلة في هذا الفراغ القاتل، وفي لحظة الحزن والوحدة بدأت تكتب لتحفظ الحروف من النسيان، فكان العمال والكادحين حرفك الأول الذي به افتتحت كتاباتك، فدونت الزمن وصرخات الذاكرة وحنينها في ذلك الزمن البعيد قبل الأوان. كل من عرفك يقول عنك: عندما تنكفئ على الورقة والقلم لا تأبه من أن يملي عليك رأياً أو يزعجك أحد بطلب، تستهلك حبرك بالشكل نفسه الذي تستهلك به كيانك، فتكتب كل ما يمليه عليك ضميرك، فكنت يا سعيد تدّون دون هوادة أحزان وأشجان وألآم شعبك بكل شجاعة واقتدار، فقتلوك. البلاد تغلي وتفوح بعد أن امتلئت بالقروح، وأنت يا سيد الشعراء وأمير الفقراء تردد بأن قلوبنا تسحقها الجروح، بماذا يا ترى يودون لنا أن نبوح ؟. كنت تقول: المرأة هي الدنيا، ولا مكان ولا زمان من غيرها، فامتلأنا حباً بها، وأضفت بأن العمال والكادحين صانعو الحياة، فعشقناهم دود تردد أو وجل، فامتلأنا فرحاً وغبطة وأملاً.

كانت أشعارك تنام في قاع القلب والذاكرة نستحضرها كلما هممنا بالولوج بعيدا عن همومنا، نستعرض صور الماضي الجميل الغائبة، نتمثل شجاعتك وصبرك وعنفوانك، فغنينا بأشعارك:

أنت يا زويا
لكِ القلب فغني وارقصي
واعزفي اللحنَ جميلاً
مثل ما تعزفُ كلُّ السنبلات
ودعي الحزنَ على قارعة البابِ يموت
فغداً يأتي بابا
وغداً يزهرُ حقلُ الماء
والشارع يغدو أغنيات
وطيورُ النورس الباكي تصحو
وتغني الفتيات

مثلما غنتْ زهورُ الحقل في يوم الربيعْ

كنت رجلاً قليل الكلام، لكنك شعلة من الحركة والإتقاد، كنت تود للديموقراطية أن تكون حقيقة لا واجهة إشهارية فقط، كنت تقول الجوع والفقر عدو الديمقراطية، تطالب بالتعددية السياسية فآمنا بما تقول. بحدسك الذي لا يخطىء عرفت بأن الوطن يعود إلى الوراء بخطى حثيثة بعد حلّ المجلس الوطني ووأد أول تجربة برلمانية في العام 1975، وشعرت بانتكاسة يهيْ لها في الخفاء تعيد إلى الواجهة كل التقاليد القمعية والإستبدادية.

فهمنا ساعتئذ أن الاحلام التي تسربت في أعماقنا عن الديمقراطية والحرية والتعددية السياسية وحقوق الإنسان بدأت تذوي وتذوب، ونحن نرى الهمجية تدق على الأبواب، وبدأ عصر التوحش يزحف شيئاً فشيئاً، فكان علينا أن نأخذ الحيطة، فالنيّة الطيبة لاتصنع سياسة ولا مجداً للأوطان، فأشعرنا شعرك بأن الكارثة المحدقة بك وبغيرك من الرفاق قد اقتربت، فأظلمت الدنيا في عيوننا وعرفنا بأن القادم أعظم.

لكن الخيارات لم تكن كثيرة. كل شيء بدا غامضاً ومُربكاً وغير قابل للفهم وعصياً عليه. كتابك الوحيد الصادق يقول إن التاريخ لا يعيد نفسه أبداً ولا يتكرر مطلقاً، ولذلك عملت على جبهة العمال، فهم حماة الوطن وقلبه الحي النابض للخروج من مأزق الطائفية الذي ابتلينا بها واستوطنت فينا كالطاعون. تكتب أشعارك كلما وجدت فسحة صغيرة وسط هذا اليأس والخراب لتعطي للأمل مساحة، فالكتابة بالنسبة لك غواية ومبتغى يجدد خلايا الدماغ ويعطي للحياة نكهة، لأن الفاجعة لا يرممها إلا الحرف الوهاج.

كتبت قصيدتك وسميتها (الطريق المؤدي إلى المهرجان):

أتذكرُ لحظَ التقينا معاً في الطريق المؤدي
إلى الموت ؟؟
قلتُ: نعم.
والتمستُ الفجاءة
كانت طريقاً إلى الرفض
هل تذكرين البلاد التي أودعوها المتاهات
روما تذكرتها زهرةً لم تمُت
والقلاعُ التي خبأوني بها لم تعشْ

لا شيء في الأفق سوى الخوف، والهروب من الفاجعة التي لاتورث سوى الإحساس بالموت بعد توقف دواليب الحياة عن الدوران. كنت يا سعيد كمن يريد ترتيب أحجار التاريخ المبعثرة فكتبت قصيدة عنونتها (بطاقة):

يا رفيقي
ها هنا أقبع عريانا أصلي
ها هنا أسجد في محراب شمس الله ملتاعا
كنافورة دم في صدور الفقراء
ها هنا أقبع وحدي
مستجيرا من عذابات السنين،
وأصلي، جاثما فوق قيودي الأزلية
وأغني لأله في متاهات المقابر
جسدي يطفح فيه الدم والعالم مملوء
بنهر الوجع في صدر الملايين
وأوراق الشجر
ها هنا يقبع وجهي في ملفات السلاطين
وأبقى ها هنا منكفئا أرسم وجه العالم
المشتاق للقتل وأوراق الخريف
آه أوراق الخريف،
كلماتي، وأغاني، وأشعار البلابل،
مزق من خرقة الصوفي فوق الرأس
مكتوب على واجهة السجن ولحن الأغنيات

كانت أشعارك يا سعيد كالصاعقة تنزل على صدورهم، فشعروا بالحيرة تتسلق عيونهم، فخافوا، فشّرعوا الزنازين لاستقبالك وهم بأملون أن تذبل حروفك وتباد وتنسى كلمات قصائدك، ولكن هل تموت الحروف؟ كنت تعلم أن موتك سيكون شنيعاً ولهذا لم تسأل عن شكل الموت ولا الطريقة، لم تصرخ، لم تقل كلمة واحدة، واجهت مصيرك ببلاغة نادرة، الصمت والدهشة، كنت محاطاً بمجموعة من القتلة المدججين بالأسلحة والهراوات وهم يتآكلون غيظاً وحقداً عليك، فالحقد عندما يبدأ في الاجتياح، تصبح كل الأشياء مباحة، وأنت الوحيد بينهم لا تحمل سوى روحك وسلاح الكلمة، تتأمل مشاهد الموت عن قرب، وكنت تقول لهم، الموت لا يهمني مطلقًا. كنت مهتماً بالفقراء والوطن وبأحلام شعبي وبرضى قلمي، ولكن منذ اللحظة الأولى كانت النهايات محددة سلفاً.

كنت تقول لهم أية حماقة تافهة منكم يمكنها أن تحرق البلاد وتهلك العباد وتجر الوطن الى المحرقة، ولكن هم لا يأبهون لأي كان ولا يفهمون شيئاً إلا البطش، فعّم الخراب، وساد الإرهاب فولدت الكارثة وأنجبت الرعب والدم والخوف والعذاب. بدأت مسارات الفاجعة تتضح، وبدت الأمور مؤكدة، كل شيء بدأ ينزف والقلوب تزداد ضيقاً والآلام تزداد اتساعاً، والحزن عمّ البلاد، فزادت الخيبة واليأس، والأحلام بدأت تفقد سبيلها إلى الحياة، وأصبحت حركة الزمن تسير بسرعة مذهلة نحو الدمارالأكيد، ومع ذلك فإن للموت لغته وللحياة فرصتها وللشعر هيبته، فملأت الدنيا بأجمل الأشعار يا سعيد.

كنت تعرف بأن لاشئ يأتي بالودّ والورد، ومن أجل ذلك ضحيت بالغالي والنفيس، بأغلى شيء: حياتك، فأصبحت سيرة الذين لا يموتون وذاكرة الآتين والباقين وأيقونة الذين يحلمون بوطن لا يأكله البطش ولا ترهقه الفضاعات، ولا يرجف فيه الأمل، فحملت شعلة النضال من أجل وطن حرّ وشعب سعيد .

الرّقمنة والفاعلية النسويّة: واقع وإكراهات

الحديث عن الرقمنة بداية يحيلنا على ثورة رقمية، هي نتاج التطور السريع لتكنولوجيا الإتصال، ومن ثمة أصبحنا أمام أساليب جديدة للإتصال والتواصل وتبادل المعلومات، الأفكار، المعارف،الأطاريح...إننا إزاء عصرنة آليات وأدوات التواصل.

هذا الزخم الرقمي المرتبط بالتكنولوجيا المتطورة، سيطرح كإشكال مع هذا الغزو العنيف،إن جاز القول، لشبكة الأنترنت والوسائل المتعددة فيما يسمى وسائل التواصل الاجتماعي. من هنا تركيزي على العلاقة الملتبسة بين العناصر الثلاثة للعنوان:الرقمنة، المرأة، الفاعلية.

د.بشرى اقليش

فمن جهة، علينا استخلاص أثر الرقمنة على قضايا المرأة ككل. ومن جهة ثانية، رصد علاقة المرأة بالرقمنة. ومن جهة ثالثة، الحديث عن فاعلية المرأة ببعدها الإيجابي. في وقت كل التمثلات والأحكام تنظر بشكل سلبي أو متحفظ–في أحسن الأحوال– لهذا العالم الجديد، الذي كسر مبادئ التواصل والعمل والإتصال التقليدية. بل جعل المرأة تتحرر ولو إفتراضيا. وفوق هذا التحرر الإفتراضي، أن تكشف عورات المجتمع الذي شرعت أبوابه أمام الجميع، وأصبح عاجزا عن ما يسمى سوسيولوجيا بالضبط الإجتماعي؛ يعني مختلف القوى التي يمارسها للتأثير على أفراده، من عرف وتقاليد وأيضا أجهزة، يستعين بها لحماية مقوماته من الإنحراف والعصيان والتمرد. هذا الضبط الإجتماعي، ستنفلت منه وسائل التواصل الإجتماعي، لنكون أمام الإنحراف والعصيان والتمرد.

المفارقة، أن الرصد– رصد أثر الرقمنة على قضايا المرأة– سيطال فقط الشق السلبي. ونادرا ما نجد من يمدح فضل الرقمنة في توسيع مجال الحوار، التواصل، الإنفلات من القيود بالمعنى الإيجابي، القدرة على خلق فضاء إعلامي خاص، إن جاز القول. وقليلا ما نجد دراسات تتناول دور تكنولوجيا الإتصالات والمعلوميات في الدفع بالمرأة نحو إثبات وجودها سياسيا وفكريا واجتماعيا. بالرغم من أن آليات الضبط الإجتماعي تساعد على تهميشها لا الرقي بها. فهناك من يعتبر انفتاح المرأة على وسائل التواصل الاجتماعي مثلا، نوعا من الانحلال واللامسؤولية والإنفتاح غير المحمود. بل إن حضور ظاهرة التحرش مثلا بالمرأة بوسائل التواصل الاجتماعي، دليل على إن الذهنية العربية لازالت ترفض رؤية المرأة خارج الإطار التقليدي الذي رسمته الأعراف، ولا علاقة له لا بالقيم الأخلاقية ولا الدينية. لهذا يمكننا القول، إن عوالم الرقمنة عرت المسكوت عنه في قضايا المرأة. وكشفت أيضا تمثلات الرجل خاصة في عالمنا العربي، لأسئلة حرية المرأة، والمساواة، وإنسانية المرأة...، وغيرها من القضايا التي ترتبط بوضع المرأة العربية عموماً.

لهذا اخترت عنوان، "الرقمنة والفاعلية النسوية:واقع وإكراهات. ولأقف كما أشرت عند المحاور الثلاثة:

1– أثر الرقمنة على قضايا المرأة: إذا كان الرقي بوضع المرأة، من أهداف التنمية المستدامة، وذلك بتمكين المرأة من المشاركة في كل الميادين، خاصة بالبلدان النامية. فإن عوالم الرقمنة فتحت الآفاق أمام المرأة لفرض ذاتها ككفاءة وفاعلية. بل إن المرأة استطاعت أن تتجاوز العديد من المشاكل خاصة الإقتصادية منها. صحيح أن المطمح يبقى دائما تحقق المساواة بين المرأة والرجل. لكن على الأقل هناك من اقتحمن العوالم الجديدة بإكراهاتها لحل مشاكلهن على الأقل؛خاصة النسوة اللائي اضطررن للإشتغال من بيوتهن. وهو الأمر الذي لا يمكن تحققه بعيدا عن المد التكنولوجي.وإن تعذر الوقوف عند بعض المهارات ومضمون العمل، فإن ما يهمنا هو الإعتماد على الذات وتجاوز السلطة الذكورية، بل الإكراهات عموما. لأنه أحيانا موانع تحقيق المرأة لذاتها تكون ذاتية.

أيضا أضحت وسائل التواصل الإجتماعي، على سبيل المثال، وسيلة لفضح العنف الممارس على المرأة؛ سواء العنف الأسري، أو بالعمل، أو بالشارع...، وهذا في حد ذاته مكسب لا يمكننا تجاهله. بل وأيضا العنف الممارس عليها بمواقع التواصل الاجتماعي. لأن هذه الفضاءات تفضح حمولة الشخص الأخلاقية والفكرية. بما فيها نظرته إلى المرأة. من هنا ضرورة تسليط الضوء على مشكل التمييز وعدم المساواة والنظرة الدونية التي كرستها التمثلات العامة للمرأة.

2– علاقة المرأة بالرقمنة: في هذا الشق بالضبط، يمكنني القول إن التمييز القائم بعالمنا العربي بين المرأة والرجل، يتبدى جليا في تعاطي كلاهما مع الوسائط الرقمية. ففي الوقت الذي تراهن فيه الدول المتقدمة على المنصات التكنولوجية للرقي بكافة المجالات خاصة الإقتصادية–على إعتبار إن الإقتصاد لغة العالم الجديد– لازلنا نحن نعاني تفاوتا بين المرأة والرجل في إعتماد الوسائط الرقمية التي لا زال ينظر إليها لدى الغالبية، ومن الجنسين، إنها وسائل ترفيه، وليست وسائل للعمل أو التعلم أو التواصل المعرفي، بل الديني والحضاري.

والأكثر من هذا وذاك، أضحى الرهان على الرقمنة لتطوير المهارات الإجتماعية، من خلال محو الأمية الرقمية، ومساعدة المرأة على التعلم والعمل.

والجميل إن المرأة أثبتت مهاراتها. لكن وللأسف الشديد، وكما أشرت سابقا،البيئة الإجتماعية تحول أحيانا دون إقدام المرأة على هذه العوالم بشجاعة. ولا نحتاج هنا إلى التأكيد على إننا في الوقت الذي ندافع فيه على البنى الإجتماعية والإقتصادية التقليدية، فإن العالم اليوم يراهن على تكنولوجيا المعلوميات والإتصالات باعتبارها أساس الإقتصاد العالمي الجديد. لأنها تزيد فرص العمل وتسهل ظروفه. ما يعني إنه بإمكان المرأة إستثمار قدراتها باستثمارها لهذه الآليات المرتبطة بالرقمنة. بل الأكثر من هذا تشير أغلب الدراسات السوسيولوجية بأن الإقتصاد الرقمي سيجعل المرأة تتجاوز كل الإكراهات التي تعانيها في أسواق العمل التقليدية، خاصة بالبلدان النامية التي تعاني فيها المرأة مشاكل بخصوص

القيود المفروضة عليها؛القيود المرتبطة مثلا، بمواعيد العمل وغيرها. فالمرأة اليوم يمكن أن تشتغل عن بعد. فهي صيغة يمكن أن يندثر معها عائق نوع الجنس، مادامت الدول النامية عاجزة عن تجاوز هذا الإشكال، على الأقل إلى حدود الآن.لأنه لدينا أمل في تحسن النظرة إلى المرأة واسترجاع انسانيتها يوما.

تشير الدراسات المنجزة أيضا، أن الفجوة كبيرة بين المرأة والرجل في التعاطي مع عوالم الرقمنة. فتقرير الإتحاد الدولي للإتصالات إلى حدود عام 2020،أشار إلى التفاوت بين الذكور والإناث في إستثمار الأنترنيت واعتماد الرقمنة، حيث إن إستثمار النساء للرقمنة أقل من الرجال بنسبة 0/17،وبالبلدان النامية أكثر. لهذا فإذا كنا يوما ننادي بمحو الأمية، فإننا اليوم مطالبون بمحاربة الأمية التقنية التي ستعزل المرأة تماما كما عزلتها الأعراف والتقاليد.

3- فاعلية المرأة: بعيدا عن الوضع المأزوم، قريبا من اشعاعات الأمل، يمكننا القول إن كل هذه الإكراهات لم تمنع المرأة العربية والمغربية على وجه الخصوص، من أن تفرض وجودها حتى إن جل الدراسات تعتبرها مخزونا ضخما لليد العاملة الماهرة، وفق متطلبات الإقتصاد الرقمي. وأيضا كفاعلية معرفية استطاعت أن تنافس الرجل حضوره واحتكاره عوالم المعرفة. خاصة مع ظهور العالم الإفتراضي والعمل الإلكتروني وكل التسهيلات. بل إننا أمام تحقق أغلب الأهداف،منها تحقق المساواة على الأقل الأنشطة المعرفية بشكل متكافئ مع الرجل. بل وتحقق نوع من الإنسجام بين الحياة العملية والحياة الأسرية، الشيء الذي سيدحض نظرية:»نجاح المرأة المهني على أنقاض الأمومة والاستقرار الأسري».ليثبتن أنفسهن فكريا و معرفيا ومهنيا، وليستفيد منهن جمهور واسع. والتهميش الذي عانته واقعيا استطاعت تجاوزه إفتراضيا، نزد على هذا تفوقها في المجال العلمي والمهني على مستوى إعتماد الرقمنة. بل حتى في المهن التقليدية والتجارة مثلا، لنا أن نلمح فاعلية المرأة واقتحامها سوق الشغل، ما انعكس على مستواها المادي وعلى دورها داخل الأسرة.

صحيح أن حضور المرأة على مستوى مواقع صنع القرار والسلطة لازال محتشما، وكذلك لازالت ضحية اللامساواة والتهميش والفقر، لكننا نلامس شيئا من تقلص الفوارق. نحتاج فقط لمحاربة التمثلات العامة والأحكام المسبقة حول هذا العالم الجديد. نحتاج أيضا مضاعفة الجهود لأجل تمكين كل النساء خاصة بالعالم القروي. وهو جهد مؤسساتي أكيد، من هنا ضرورة إقحام هذا المطلب للمطالب القائمة.

المغزى، عدم الاستسلام لواقع الابتذال، والأزمة القيمية التي هي نتاج عوامل شتى:أمية، فقر، المادية التي طبعت حياتنا كنتيجة سلبية للنظام العالمي الجديد، سيادة الأعراف عوض الأخلاق...

وأن نستوعب أن تنمية المجتمعات العربية لا تهم الشق الإقتصادي فقط، بل أيضا الجوانب الإجتماعية، لأجل تحقق مجتمع متجانس على الأقل بين خطواته التنموية الإقتصادية، و"صناعة" الكفاءات الفردية، مهنيا وانسانيا، لأجل مجتمع متحضر. وهذا المقصود بالتنمية البشرية، التي هي الرهان الأساسي للبلدان النامية، وبتعبير أدق البلدان المتخلفة. وهذا التخلف هو ما أنتج لنا الابتذال والجهل الرقميين. فلا مجال إذن للاستغراب من هذا الكم من الانحلال الإفتراضي، الذي يعكس واقع مجتمعاتنا. وفي المقابل لا ضير من أن نشيد بالجهود الساعية لاستثمار مشرف لعوالم الرقمنة.

ديوان شعري رقمي للشاعرتين إيمان أسيري وليلى السيد

إسراف في الجلوس مع الليل

نعيمة السماك

العنوان أعلاه هو الديوان الرقمي للشاعرتين إيمان أسيري وليلى السيد: «غابة النوم – هجرة الأوكسجين» الذي صدر توا مع إطلالة العام الجديد. يقع الكتاب في 111 صفحة من القطع المتوسط.

أما عن اختيار الرقمي دون الورقي فتقول أسيري: «إن الرقمي أوسع انتشارًا وأقل تكلفة، ويمكنه أن يصل ألى أكبر شريحة من القراء على مستوى الوطن العربي. كما أن التجارب السابقة مع دور النشر لا تشجع كثيرا على الإصدار الورقي إلى جانب أن التكلفة عالية جداً".

لماذا اختارت أسيري موضوع الحرب تحديداً؟

تقول أسيري: «كنت ولا زلت أكره الحرب، ولا يمكننا أبداً قبولها كلغة حياة مهما أوهمنا الطغاة والمتجبرون بذلك لمصالحهم الخاصة التي لا تصبّ إطلاقا في مصلحة البشرية. لا توجد حرب عادلة. فلا بد من المقاومة والرفض، وإعلاء لغة الحياة الطبيعية المسالمة التي يجب أن يحياها الإنسان».

في ديوانها «غابة النوم» كتبت إيمان 76 مقطعاً شعرياً تنتمي كلها لقصيدة النثر تناولت فيها وقع الحرب وآثارها علينا كبشر مخلفة الموت والدمار. عندما أصبح الموت مجانياً خلال العقدين السابقين فما أن تلتفت إلى بلد إلا وترى إما حربا أهلية وإما اعتداء. حتى أصبحت لغة السلام مفقودة، بعد أن تم إعلاء لغة الحرب.

مهما تصدرت الشاشات اخبار الحرب بحثا عن البطولات الزائفة فلا يمكننا ان نعتبرها مسلمة او طبيعية، ويبقى توقنا وانتصارنا دائما للحياة فنحن الحياة، لابد ان نرفض هذه اللغة، لابد ان نقاوم ونرفض الموت المجاني الذي تنتهك فيه إنسانية الانسان، ومن الديوان نختار لإيمان أسيري هذا النص:

غابة النوم

بلقيس ذات الرموش السود، ذات الوشاح الملون،
والعمر القديم، قامت إلى الباب،
متوحشون أوقعوا جسد بلقيس
بدفئه تحول نرجسا سريا متدفقا حتى الآن.

في المقطع رقم 7
بين الشاشات تكمل الحروب حكايتها، بالقذائف
تستهدف قلوبنا، فرض علينا كتم النظر إحترامًا لجنون
الضباب.

***
لم تنته الحرب من سهرتها، ولم أنته من إعداد الطعام،
كثيرا ما أفكر، ماذا لو نقص عدد المحاربين ؟
هل ستكف الأمهات عن طهي الأحلام
وفي «هجرة الأوكسجين» لليلى السيد نقرأ:
أكتب
شعرا على نخيل البحرين
أو في
أيّ مكان آخر
فما بين البحر والبحر لا تقبع اليابسة وحدها.
يا إلهي أحلم بمستقبل غبي
يبدأ بما بعد الحرب .

****
أنا وقمر غرناطة
نجلب شيئين
عين مذعورة،
ورسائل مؤطرة الرغبة
حين لا تراني
سأنتظرك
أمام مرآتي
أهيء النفس لضوئك.

تداخل التيسير الكَمي، الفائدة، التضخم وعلاقتها بأوجاع الاقتصاد

التضخم صفة ملازمة للاقتصاد الرأسمالي. ومن الاقتصاديين من يعتبر أن نسبة معقولة من التضخم في أي بلد لا بأس بها، بل وصحية للاقتصاد. غير أن مشكلة التضخم ظلت على مدى عقود طويلة من السنوات تقلق المستهلكين والشركات والسياسيين، كلا من زاوية مصالحه. ويبلغ هذا القلق أشده منذ العام الماضي ٢٠٢١ وحاضرا، وقد يمتد إلى أمد طويل قادم. في الولايات المتحدة الأميركية يبلغ التضخم ٧٪ حالياً، وهو الأسرع منذ ٤٠ عاما. ويُقرُّ مصرف الاحتياطي الفيدرالي الأميركي الآن بأن هذا الاتجاه ليس مؤقتا. وهكذا هو الحال تقريبا في كثير من البلدان المتقدمة والنامية.

عبد الجليل النعيمي

النظرية التقليدية هي أن التضخم ناتج عن الكثير من الأموال التي تطارد عددًا قليلاً جدًا من السلع، ما يدفع بالأسعار ارتفاعا. لذا تتعرض المصارف المركزية لضغوط شديدة من أجل «تشديد» أو تقليص المعروض النقدي. وفي الحقيقة أنه أينما تفاقم التضخم تكون سياسات المصرف المركزي النقدية والسياسات المالية هناك هي المتسبب الأساسي، إلى جوانب عوامل أخرى، داخلية وخارجية. في ظروفنا العالمية منذ أزمة جائحة كورونا يعود للعوامل الخارجية دور متزايد مع تباطؤ الإنتاج أو الإغلاقات، وبالتالي تقطع سلاسل الإمداد. وبالنسبة لبلداننا المستهلكة لغالبية حاجاتها يُبدي العامل الخارجي تأثيرا أشد. ومع ذلك تضرب مشكلة التضخم بجذورها الأساسية في السياسات المالية والنقدية، وتعتمد المعالجات المتوسطة والطويلة الأمد على صحة أو خطل هذه السياسات تحديدا.

نعني بتلك السياسات هنا قبل كل شيئ نهج التيسير الكمي، المتمثل في إصدار المصرف المركزي سندات خزينة الدولة نيابة عنها وبيعها على المصارف والشركات والأفراد، محليا وفي الأسواق العالمية، كأداة من أدوات الدين العام وطبع مزيد من العملة لتمويل الشراء. وفي مملكة البحرين تستخدم هذه الأصول لتسديد فوائد الديون المستحقة على الدولة وتمويل الميزانية وتمويل الميزان التجاري الدولي. كما أنها تضمنت في عام 2020 حزمة الدعم المالي والاقتصادي للشركات والأفراد لمواجهة أعباء كورونا. وقد خففت حزمة الدعم لعام 2020 البالغة 4.3 مليار دينار من بعض أعباء الشركات والأفراد، إلا أن حصة الأسد كانت من نصيب المصارف. كما تعهد المصرف المركز بدعم المصارف بالسيولة اللازمة. وفي حين اشترط المصرف المركزي على المصارف تأجيل أقساط سداد القروض للشركات والمواطنين الراغبين، إلا أن الفوائد والرسوم ظلت سارية. وحسب رئيس مجلس إدارة جمعية مصارف البحرين عدنان يوسف «تعد الأرباح المجمعة للبنوك خلال الأشهر التسعة الأولى من العام الجاري هي الأعلى في تاريخ قطاع المصارف التجارية، نتيجة الفوائد الناتجة عن تأجيل القروض خلال جائحة كورونا» (الوطن، ديسمبر 2021). كما أوضحت بيانات مصرف البحرين المركزي أن ربحية البنوك تحسنت بفضل تأجيل أقساط القروض والتي بلغ مجموعها ملياري دينار من 3 مارس 2020 حتى 31 أكتوبر 2021.

نتيجة تلك الإجراءات مجتمعة، كما في كل سنة، أنْ ارتفع الدين العام في البحرين إلى 14.41 مليار دينار (37 مليار دولار) بنهاية نوفمبر 2021، مقارنة بنحو 13 مليار دينار (34 مليار دولار) لنفس الشهر من عام 2020، أي بنسبة نمو نحو 10٪.

يجدر هنا أن نبين للقارئ أن هذه ليست هي الفكرة الأصل من وراء سياسة التيسير الكمي، التي اخترع مصطلحها (Quantitave Eas "QE") البروفيسور البريطاني، الاقتصادي الألماني المولد ريتشارد ويرنر عندما كان يعمل في اليابان في التسعينات. حينها قامت الحكومة اليابانية بحفز الطلب على المساكن، مما أدى إلى ارتفاع حاد للأسعار، حتى انهار السوق كنتيجة حتمية، جارفا معه الاقتصاد. وصفة ويرنر للتيسير الكمي آنذاك لم تعن إنشاء الأموال المتضخمة للأصول التي نراها اليوم. بل أنه أوصى بزيادة الناتج المحلي الإجمالي من خلال دفع الأموال إلى الاقتصاد الحقيقي المنتج، الذي يزيد من عرض السلع ليواكب الطلب عليها وحجم المعروض النقدي المتاح، ويوسع السوق الداخلي أمام رأس المال المحلي المنتج ويفتح أمامه آفاق التصدير، بما في ذلك للحد من الواردات التي تلتهب أسعارها في الفترة الأخيرة. ناهيك عن أن ذلك يُوجِدُ فرص عمل جديدة إضافية، فيساعد كل ذلك على إحداث الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي. وهذا بالضبط ما يوصي به جميع البلدان لمواجهة الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية بجانبيها (المزمن منذ عامي 2008 - 2009 وتبعات جائحة كورونا). وسنعود لكيفية تطبيق مفهوم البروفيسور ويرنر للتيسير الكمي لاحقا.

الجانب الثاني – سعر الفائدة، وهو من صلب وظيفة المصرف المركزي النقدية. غير أن مصرف البحرين المركزي لا يملك هامشا كافيا من الاستقلالية في رسم سياسة تحديد سعر الفائدة (كما الحال بالنسبة لسعر صرف الدينار البحريني) نظرا لثبات ارتباط الدينار بالدولار الأميركي. وقد جرت الإشارة من قبل رئيس مجلس التنمية الاقتصادية إلى ذلك في أحد قمم المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس قبل سنوات. إذن، فسعر الفائدة لدينا يحدَّد تناظرا وذلك الذي يحدده مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأميركي. الأخير، وبداعي السيطرة على التضخم المنفلت لديهم (7٪ حاليا)، يعلن عن توجهه في مسارين متوازيين : الأول، التوقف عن سياسة التيسير الكمي وثانيا، رفع سعر الفائدة تدريجيا وعلى ثلاث دفعات خلال العام الجاري 2022.

الحجة الظاهرية من وراء رفع سعر الفائدة هو أنه سيكبح الطلب ليقترب من التعادل مع العرض. لكن الذي سيحدثه حقيقة في الظرف الحالي هو الاستجابة لنظرة رأس المال الكبير للشركات الصغيرة والمتوسطة المستهدفة على أنها «غير أساسية» في قدرتها على ممارسة الأعمال التجارية، وأن رأس المال الكبير قادر على أن يحل محل تلك المؤسسات، كما تفعل بعض الشركات العائلية لدينا، خصوصا عندما تنشئ فروعا لها تمارس أعمال حتى ذوي المهن البسيطة. بالنتيجة تفلس أعداد كبيرة من المؤسسات المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة. رفع أسعار الفائدة سيُحمِّل الشركات الصغيرة والمتوسطة الباقية على قيد الحياة أعباء مضنية فوق حالتها الصعبة أصلا، وقد يكون بمثابة الضربة الأخيرة. حال الشركات المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة عندنا لا يختلف كثيرا عن مثيلاتها الأميركيات وبقية بلدان العالم، حيث تم في أميركا إغلاق 200 ألف مؤسسة أكثر مما في سنوات قبل الجائحة. هذه المؤسسات الأكثر تضررا من الأزمة الاقتصادية المالية المزمنة وآثار الجائحة هي التي تعتبر بمثابة العمود الفقري للاقتصاد غير النفطي، وتشكل حوالي 95٪ من إجمالي عدد المؤسسات الاقتصادية الخاصة في البحرين.

وهكذا، فإذا كان خرطوم التيسير النقدي موجها لتغذية القطاع المالي والمضاربات العقارية والمالية (بما في ذلك شراء البتكوين وغيرها من العملات الرقمية) والمراهنات ومظاهر البذخ والاستهلاك الطفيلي من جهة، وإذا كان سعر الفائدة سيتجه صعودا من الجهة الأخرى، فستخسر الشركات المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة كثيرا في الصراع من أجل البقاء. لكن ذلك في نهاية المطاف سينعكس أزمة خانقة على الاقتصاد برمته إنتاجا واستهلاكا وتوظيفا.

بحثا عن حل للمعضلة نعود ثانية إلى مفهوم البروفيسور ويرنر، لكن من زاوية التطبيق العملي هذه المرة. يستعرض ويرنر التطبيق على مثال بلدين، ألمانيا (التي تطبق نموذجا أقرب إلى اقتصاد السوق الاجتماعي) والصين الإشتراكية. ويكشف سر قدرة الشركات الألمانية الصغيرة على المنافسة، بينما لا تستطيع مثيلاتها الأميركية ذلك. وينسب الفضل إلى 1500 بنك مجتمعي غير هادف للربح في ألمانيا، وهو أكبر رقم في العالم. 26.6٪ من الودائع الألمانية مع بنوك تعاونية و42.9٪ مع بنوك إدخار مملوكة ملية عامة تسمى Sparkassen، تقتصر قانونيا على الإقراض في مجتمعاتها المحلية. تقدم هذه الشركات مجتمعة أكثر من 90٪ من إقراض الشركات الصغيرة والمتوسطة. بينما تقرض المصارف الكبيرة الشركات الكبيرة والمضاربين الماليين على نطاق واسع. النتيجة : لم تتأثر المصارف المجتمعية الألمانية بالأزمة المالية الاقتصادية العالمية عام 2008 وتمكنت من زيادة إقراضها للشركات الصغيرة والمتوسط بعد عام 2008، بينما أصبحت الشركات الألمانية الصغيرة والمتوسطة هي الرائدة في السوق العالمية في العديد من الصناعات. وفي الفترة ما بين أزمة 2008 العالمية وبداية جائحة كورونا لم تشهد ألمانيا ركودا ولا زيادة في البطالة.

كما يضرب ويرنر مثلا بالصين التي يُعْزِي نجاحها إلى شبكتها الواسعة من المصارف المجتمعية منذ أيام زعيمها ماو تسي تونغ، حيث كان لدى الصين نظام مصرفي وطني مركزي واحد. وبتوجيه من دنغ شياو بينغ تم في عام 1982 إصلاح نظامها النقدي وأدخلت آلاف البنوك التجارية، بما في ذلك مئات البنوك التعاونية. تبع ذلك عقود من النمو المزدوج الرقم. كما تم قمع إنشاء الائتمان المصرفي الضار لمعاملات الأصول والاستهلاك، في حين تم تشجيع الائتمان الإنتاجي.

هذا النموذج، الذي يعني الاستغناء عن الوسطاء وتشغيل المصارف المجتمعية لإنشاء ائتمان للإنتاج المحلي، هو أيضا وراء نجاح عمل بنك داكوتا الشمالية (BND) في الولايات المتحدة الأميركية، الذي يعود تاريخه إلى قرن من الزمان، وهو البنك الأمريكي الوحيد المملوك للدولة. وأيضا ولاية نورث داكوتا هي الوحيدة التي أفلتت من ركود 2008–2009، ولديها ميزانية حكومية لم تنخفض أبدًا إلى اللون الأحمر.

في الظروف الاقتصادية الحالية يوصي البروفيسور ويرنر بإصلاح النظام النقدي عن طريق: حظر الائتمان المصرفي للمعاملات التي لا تساهم في الناتج المحلي الإجمالي. وإنشاء شبكة من العديد من البنوك المجتمعية الصغيرة التي تقرض لأغراض إنتاجية، وإعادة جميع المكاسب إلى المجتمع ؛ وجعل السلوك المصرفي شفافًا وخاضعًا للمساءلة ومستدامًا. إنه يترأس الآن مجلس إدارة بنك هامبشاير المجتمعي، الذي تم إطلاقه هذا العام فقط، حيث أن هذا النموذج لا يشمل أي مكافآت للموظفين، فقط رواتب متواضعة عادية ؛ الائتمان المقدم بشكل رئيسي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة ولإنشاء المساكن (قروض الرهن العقاري التي يتم شراؤها من أجل البناء) ؛ والملكية من قبل مؤسسة خيرية محلية لصالح الناس في المحافظة، ونصف الأصوات في أيدي السلطات المحلية والجامعات التي تستثمر في هذا النموذج.

في عالم المصارف والمال المعهودَين في بلداننا يبدو هذا الطرح غير "عقلاني"، بل وغير صديق بالمرة. لكن من يقول بذلك حتما لا يدرك أنه يبتعد بتفكيره وممارساته يُحلِّق بعيدا حتى عن القيم الأولى التي قام عليها النظام الرأسمالي نفسه، ويساعد في تعجيل استفحال أزمة النظام المالي القائم وصولا إلى انهياره، أو أنه ربما أصبح، دون أن يدري، مسخرا بين يدي النخبة العالمية التي تخطط لنظام ما بعد الرأسمالية، أو الرأسمالية الشمولية وبناء ما يسمى بـنموذج "التصفير الكوني".

الطبقة العاملة ونهج اليسار

جواد المرخي

للقوى اليسارية على مستوى العالم دور تاريخي في قيادة النضال الأممي للطبقة العاملة وسائر الشغيلة، ولا تزال هذه القوى هي المعول عليها في تجديد وتطوير نضال الحركة العمالية نحو الاتجاه الصحيح ضد سياسات الاحتكارات الإمبريالية القائمة على الاستغلال البشع.

كان لنا في البحرين مثال على ذلك إبان النضال الوطني ضد سياسات هيمنة الاستعمار البريطاني من قبل كافة مكونات شعبنا البحريني، حيث أصبح تأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية ضرورة ملحة، وكان لهذا الفصيل اليساري أن يوحد بجدارة قوى الشعب في النضال في إطار العمل الوطني المنظم، واستمر ذلك لعقود من الزمن، بالرغم من التضحيات الكبيرة في صفوف قيادات وكوادر هذا التنظيم الماركسي العريق.

وإذا رجعنا لذاكرة التاريخ مع بداية ظهور الأنشطة الثورية مع بدايات تأسيس الحركة العمالية والنقابية في اوروبا، حيث كان ماركس ورفيقه انجلز قد بذلا الجهد الكبير لخلق الأرضية لقيام المنظمات العمالية والنقابية من أجل انتزاع الحقوق العمالية المفقودة في اوروبا في تلك المرحلة.

ففي عام 1884 كُلف ماركس بقيادة رابطة العمال في كولونيا، وهي إحدى المقاطعات في ألمانيا في تلك المرحلة، وفيها تأسست الرابطة العمالية التي كانت تعد الأكبر حجما لتنظيم عمالي بحيث كان لها الأثر الكبير في دعم النضال العمالي السري، ويومها ماركس وانجلز ملاحقين من قبل الأجهزة الامنية في غالبية الدول الأوروبية الصناعية، لأن تلك المدن كانت مسرحاً لنضال وانشطة القائدين العظيمين.

ونحن ننظر في وضعنا الراهن سنعود لما جاء في برنامج العمل الذي أقره السمينار النقابي اليساري الأول في البلدان العربية والذي انعقد في العراق في مدينة أربيل في الفترة من 24 - 26 من تشرين الأول عام 2013، الذي خرج فيه المؤتمرون بقرارات مهمة كان من المفروض أن تتم متابعتها وترجمتها من قبل القوى اليسارية المشاركة فيه من أجل البناء عليها، بالرغم من كل الظروف والتطورات والمعوقات على الساحة العربية جراء الصراعات بين قوى اليمين المتطرف واليسار، وتأثير الحروب على العراق وسوريا وليبيا واليمن، وهيمنة القوى الطائفية الإقليمية على القرار السياسي في بعض البلدان العربية.

بات من الأهمية أن تتوجه القوى اليسارية بثقافة الوعي الذي يفضي لمعرفة الحقيقة في صفوف الجماهير من خلال برامج وأفكار وإعلام النهج اليساري في البلدان العربية خصوصا النزول للعمل في صفوف الطبقة العاملة وسائر الشغيلة اليدوية والفكرية، وهذا يتطلب أن تتحرر القوى اليسارية العربية بجميع قواها من الصدمة التي احدثها الإنهيار المفاجئ للاتحاد السوفييتي والتي كان لها الأثر السلبي على مجمل أنشطة اليسار في العالم.

إن دور اليسار اليوم آخذ في التزايد، خصوصاً في امريكا اللاتينية، ما يساعد على مساعي تجديد أنشطة اليسار العربي ضد سياسات الامبريالية والصهيونية والقوى الاقليمية الطائفية والرجعية العربية التي تعمل على بث روح الفوضى الخلاقة من خلال دعم قوى متطرفة دينياً واجتماعياً، لتكون ذريعة لتدخلات للقوى الأجنبية والهيمنة على القرار السياسي العربي، وقتل الروح الوطنية من خلال إشعال النعرات والكراهية الطائفية، وإدامة افقار شعوب الدول العربية الغنية بالثروات، وتدمير البنى التحتية وزيادة الحرمان والفقر وتدني المستوى المعيشي والصحي والثقافي والاجتماعي وزيادة نسبة البطالة وضرب حرية العمل النقابي والسياسي وحرية الإعلام.

عصر رأسمالية الكارثة

ترجمة:
غريب عوض

أُجريت هذه المقابلة مع John Bellamy Foster في أوائل شهر أكتوبر وظهرت لأول مرة في عدد نوفمبر 2021 من مجلة Irish Marxist Review تحت عنوان "حالة الطوارئ الكوكبية": ما العمل الآن؟ تم تكييفهِ للنشر هُنا.

John Molyneux and Owen McCormack: بالنظر إلى طقس الصيف القاسي وتقرير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ (IPCC) ، ما مدى سوء الأمور الآن؟ ما رأيك في النطاق الزمني للكارثة وماذا تعتقد أن الكارثة ستبدو عليه؟ هل الأمور أسأ مما يزعم تقرير (IPCC) الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ؟ وحذر البعض من ضمنهم مايكل مان Michael Mann، من "سيناريوهات يوم القيامة" التي قد تردع الناس عن فعل أي شيء. برأيك ، هل يوم القيامة هي الحقيقة التي يجب قولها للناس؟

John Bellamy Foster: بالطبع، يجب علينا تجنب الترويج لـ"سيناريوهات يوم القيامة" بمعنى تقديم رؤية قاتلة للعالم. في الواقع، إن الحركة البيئية بشكل عام والإشتراكية البيئية على وجه الخصوص تدور حول مكافحة الإتجاه الحالي نحو التدمير البيئي. وكما أعلن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش Antonio Guterres مؤخراً فيما يتعلق بتغيّر المناخ، فقد أصبح الآن "رمز الإنسانية الحمراء". هذه ليست توقعات يوم القيامة بل هي دعوة للعمل.

لا تزال كلمة كارثة غير كافية في عصر رأسمالية الكارثة الحالي. أصبحت الكوارث الآن في كل مكان، مُنذُ أن أمتدت إلى نطاق الكوكب نفسه. نشهد الآن في جميع أنحاء العالم سلسلة من الأحداث المناخية الحادة التي ترجع في جزء كبير منها إلى تغيّر المناخ، وكلٌ منها تُصنّف على أنها "كارثية" من خلال السوابق التاريخية، وأحياناً تقع خارج نطاق ما كان يُعتقد سابقاً أنهُ ممكن مادياً. الظروف القاسية التي شهدها هذا الصيف في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية – من ضمنها الفيضانات في أوروبا؛ وإعصار عايدة في الولايات المتحدة، والذي لم يقتصر على تدمير مدينة نيوأورلينز فحسب، بل إنتهى بهِ الأمر أيضاً إلى قتل الناس في فيضانات في نيويورك ونيوجيرسي؛ ومن الواضح أن تفاقم الجفاف وحرائق الغابات في كاليفورونيا وساحل المحيط الهادئ بأكمله بالولايات المتحدة يمثلان شيئاً جديداً نوعياً.

أحدث تقارير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ، هوتقريرها التقيمي السادس: يوضح أساس العلوم الفيزيائية أن مختلف الظواهر المناخية والظروف المناخية القاسية تميل إلى التعقيد، كما هو الحال في حالات الجفاف والتصحر (تضخم الغُبار) وتآكل التُربة وحرائق الغابات وضعف الرياح الموسمية، من ناحية، وذوبان الغلاف الجليدي، من ناحية أُخرى، يؤدي ارتفاع مستوى سطح البحر، والعواصف الضخمة، والفيضانات إلى تكثيف وتوسيع هذهِ الأحداث الكارثية، والتي ستبدو وكأنها تأتي من كل مكان في وقت واحد. علاوة على ذلك، فإن العواقب البشرية تزداد عمقاً مع ارتفاع درجات الحرارة، مما يُقلل من إنتاج الحبوب في العالم ويضع ضغوطاً على الإمدادات الغذائية العالمية؛ ويُساهم تغيّر المناخ، جنباً إلى جنب مع تدمير النظام البيئي من خلال الأعمال التجارية الزراعية، في ظهور أمراض حيوانية المنشأ الجديدة، مثل COVID–19 (إلى جانب العديد من المخاطر الصحية الأُخرى)؛ تعرضت مجاميع سكانية كاملة في المُدُن في جميع أنحاء الكوكب لفيضانات غير مسبوقة؛ احتمال وصول اللاجئين بسبب المناخ إلى مئات الملايين؛ والعديد من العواقب الوخيمة الأُخرى، المفروضة على الأجيال الراهنة والمُقبلة.

وتُخبرُنا الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتَغيّر المناخ IPCC، التي لديها سِجل التحفظ العلمي، أن ما سنراه في العقدين المُقبلين، وفي الواقع خلال هذا القرن، تزايد

بقلم: محرر مجلة :
Monthly Review

الكوارث والتحول نحو نظام الأرض غير الآمن بشكل مُتزايد للبشرية، حتى في أكثر السيناريوهات تفاؤلاً. وبالتالي، في أكثر السيناريوهات «ورديةً» التي قدمتها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ IPCC، فإن السيناريو الوحيد من بين سيناريوهاتها حيثُ يُتوقع أن تصل الزيادة في متوسط درجة الحرارة العالمية في نهاية القرن الحادي والعشرين إلى أقل من 1.5 درجة مئوية، وهو أفضل ما يمكن أن يكون المأمول بهِ هو حالة يتم فيها منع زيادة 1.5 درجة مئوية حتى عام 2040 ولا ترتفع درجات حرارة العالم إلا بمقدار عُشر درجة فقط بعد ذاك، بحيثُ بحلول نهاية القرن أو بداية القرن المُقبل، يمكن خفض الزيادة في متوسط درجة الحرارة العالمية عن مستويات ما قبل الصناعة إلى 1.4 درجة مئوية، مما يُبعد البشرية عن منطقة الخطر الشديد. والنقطة المهمة هي أنهُ حتى في السيناريو الأكثرُ تفاؤلاً والذي سيتطلب ثورة بيئية عالمية من جانب البشرية من أجل تحقيقها، مما يؤدي إلى بلوغ انبعاثات الكربون ذروتها في منتصف هذا العقد وتحقيق صافي انبعاثات صفرية بحلول عام 2050، الكارثة المناخية الشاملة التي تواجهها الإنسانية ستكون رهيبة للغاية.

السيناريو الأكثر تفاؤلاً الثاني هو البقاء دون زيادة بمقدار 2 درجة مئوية (في حدود 1.7 درجة مئوية) وهذا سيتطلب ثورة بيئية عالمية. والسيناريوهات الثلاثة الأخرى التي طرحتها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ هي أساساً لا يمكن تصورها، وتعبير نهاية العالم مُناسب لها. في الواقع، نحن حالياً نتجه نحو السيناريو الأكثر مروعاً للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ، حيثُ سيرتفع متوسط درجات الحرارة العالمية لهذا القرن في «أفضل تقدير» بمقدار 4.4 درجة مئوية، وهو ما يعني، وفقاً للتقييمات العلمية الحالية، إنهيار الحضارة الصناعية، مما يُثير تساؤلات لبقاء الإنسان على كوكب الأرض. في بيان يُنذر بالسوء تم تسريبهِ من الجزء الثاني من تقرير التقييم السادس، حول «التأثيرات»، والذي لن يتم نشرة حتى شُباط/فبراير، تقول الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ أنهُ إذا تم دفع البشرية إلى الإنقراض خلال «الإنقراض السادس» الناجم عن أسباب بشرية، فإن التطور سوف لن يُعيد الجنس البشري إلى الوجود مرة أُخرى.

تكمن المشكلة في أننا إذا تجاوزنا زيادة بمقدار 1.5 درجة مئوية، وخاصةً بعد زيادة بمقدار 2 درجتين مئوية، فإن المزيد والمزيد من آليات ردود الفعل المناخية، مثل فقدان الجليد في القطب الشمالي وبالتالي إضعاف تأثير البياض (إنعكاس الأرض)، إطلاق غاز الميثان وثاني أُكسيد الكربون من ذوبان التندرا، وحرق غابات الأمزون في البرازيل وسيؤدي تدهور المحيط بإعتبارهِ بالوعة مناخية إلى تفاقم مشكلة المناخ وخلق حالة لا رجعة فيها، مما يزيد من احتمال تغيّر المناخ الجامح الذي من شأنهِ أن يتغذى في الواقع على نفسه، إلى الحد الذي يُصبح فيه وجود البشرية نفسه موضع شك.

لا تزال هناك إمكانية تجنب تغيّر مناخ كارثي كامل على مستوى يُهدد وجود الإنسان برُمتهِ. ولكن لتحقيق ذلك سوف يتطلب تغييرات ثورية في العلاقات الإجتماعية، وفي التكنولوجيا وأساليب عيش الإنسان. إن مثل هذه الثورة ستكون في حاجة لأن تبدأ ضمن النظام الرأسمالي ولكنها ستتجاوز رأس المال. ليس هناك سبيل آخر. وكما أشار كارل ماركس، إن النضال ضد الرأسمالية ليس هو مجرد تحقيقاً لحرية الإنسان، بل هو أيضاً تأكيداً على بقاء الإنسان.

لدي الكثير من الإحترام لعمل Michael Mann حول تغيّر المناخ ومعركتهِ ضد إنكار المناخ المُطلق لليمين. لذلك فوجئت برؤية هجماته على اليسار على أنهم "مُتشائمون" في كِتابهِ الأخير بعنوان "حرب المناخ الجديدة". ويبدو، بإعترافهِ هو، أنهُ قد تأثر بما أسماه هجمات «الغوغاء» عليه من قِبل أتباع نعومي كلاين Naomi Klein، بسبب تشكيكه في معارضتها لأسواق الكربون (كما لوكانت الرأسمالية الخضراء هي الحل). لقد أنتقدَ بشدة عالم المناخ البريطاني كيفن أندرسون Kevin Anderson لمزاعمهِ بأن عِلم المناخ الليبرالي السائد كان شَديد الرِضا عَن النفس وأن هُناك حاجة للإطاحة بهيمنة الإقتصاد السياسي الحالي، كما لو أن هذا لم يكُن واضحاً تماماً في هذهِ المرحلة. كان Michael Mann شديد الإنتقاد لخطة السنتور بيرني ساندرز Bernie Sanders الصفقة الخضراء الجديدة، وقدم بسذاجة وجهة النظر القائلة بان جو بايدن Joe Biden "رائداً في مجال تغيّر المناخ". لاشك أن Michael Mann يعرف العِلم جيداً، وهو يستحق الإهتمام بهِ في هذا الصدد. ولكن يبدو أنهُ ليس لديهِ فهماً بأي شكل من الأشكال للعلاقات الاجتماعية القائمة للإنتاج الرأسمالي، مما دفعهُ إلى استبعاد كلُ من يُشير إلى الضرورة المُلِحة لمحنة العالم الحالية، المُتجذرة في طبيعة نظامنا الإجتماعي، على أنهُ مُجرد "مُتشائم". الحاجة إلى تغيير القواعد الإجتماعية للعبة كما لو كانوا يستسلمون، ببساطة عن طريق الإصرار على الحاجة إلى تغيير اجتماعي جذري. ومن الواضح أنهُ يعتقد أن هناك نهجاً مُعتدلاً ومسؤولاً ومُستنيراً قائماً على النظام الإقتصادي السياسي القائم وأعمال النُخب السياسية الراسخة، والابتعاد عن ذلك هو أن تكون "إنهزامياً" و "مُحبَطاً".

يحضُرني هنا إشارة ماركس في كتاب «رأس المال» أن عُلماء الطبيعة غالباً ما "يُغامرون بشكل عشوائي تماماً" وبدون فهم عندما يتجاوزون مجالات خبرتهم المُحددة، ويُقدمون أنفسهم كسُلطات في المسائل الإجتماعية، والتي لا يكلفون أنفسهم عناء أخذها بجدية أو التحقيق فيها. لاتنشأ مشكلة المناخ (وطوارئ نظام الأرض بشكل عام) من عمليات الأرض بشكل مُباشر، وإنما من المحركات الداخلية لنظامنا الإجتماعي والإقتصادي المُعاصر، أي الرأسمالية. إن الفشل في فهم طبيعة الرأسمالية يعني أنهُ لا يمكن للمرء أن يُقدم الكثير فيما يتعلق بتنظيم العمل الإجتماعي والحلول.

(قف)

اليسار اللاتيني ينتصر على المؤامرات الأمريكية

أي تراث ثوري عظيم تحمله تلك البلاد، تشيلي، أي معركة ملحمية تاريخية لازال يقودها هذا الشعب منذ اغتيال السلفادور الليندي ضد الفاشية النيوليبرالية، بتحولاتها التاريخية المدعومة من الإمبراطورية الأمريكية والناهب الدولي إلى اليوم، وأي شعلة لا تنطفئ هذه، وأي تبصر حمله الليندي في آخر خطاباته قبل الاغتيال حينما قال: «بالتأكيد سيتم إسكات راديو ماجالانس، ولن يصلكم صوتي بعد الآن. لا يهم. فسوف تسمعونه دائما. سأظل دائما بينكم..هذه كلماتي الأخيرة، وأنا على يقين أن تضحيتي لن تذهب هباء، وأنها على الأقل ستكون درسا أخلاقيا يعاقب جريمة الجبن والخيانة».

فهد المضحكي

فها هو بعد عقود يتردد صوت الليندي بين الجماهير المنتفضة، تحت هراوات قوى الفاشية ورصاصهم، يعاقب الجبناء والخونة في انتفاضة الجماهير الشعبية في عام 2019 التي قادت إلى تغيير الدستور النيوليبرالي الموروث من عهد ديكتاتورية الحاكم العسكري، وهاهو صوته يتردد اليوم بعد 50 عاما على اغتياله بين الجماهير المحتفلة بنصرها الانتخابي على ورثة بينوشيه، وهاهو صوته يتردد عبر حنجرة الرئيس الشاب المنتخب، غابرييل بورك، الذي صرّح من على منصة النصر: «مثلما كانت تشيلي مهدا للنيوليبرالية، ستكون قبرها «.

وهذا يقودنا الى ما ذكره الكاتب التقدمي برهوم جرايسي في صحيفة «الإتحاد» اليسارية من أن شكل فوز المرشح اليساري غابرييل بورك(35 عاما)، في الجولة الثانية من إنتخابات الرئاسة في تشيلي صفعة أخرى لمحاولات الولايات المتحدة الأمريكية المستمرة منذ عشرات السنين زرع أنظمة موالية لها، تبقي على أوطانها مزرعة للمصالح الإقتصادية والسياسية الأمريكية، إلا أن دول القارة الامريكية اللاتينية لطالما عرفت شعوبها المنكوبة بغالبيتها الساحقة بالفقر والتمييز، كيف تسدد للولايات المتحدة الصفعات تلو الصفعات، لي لا تكون الصخرة الصامدة، كوبا، وحيدة، بالقول لا للولايات المتحدة بكل ماتمثله من سياسة امبريالية استعمارية. والآن تعود تشيلي إلى مجموعة دول باتت في السنوات الأخيرة، أو حديثاً، تقودها قوى يسارية، أو ذات توجهات يسارية، إلى جانب كوبا الإشتراكية، وهي: فنزويلا التي تسجل أسطورة في التصدي للمؤامرات الامريكية، وبوليفيا التى أفشلت في العام الماضي انقلاباً من عملاء أمريكا، والهندوراس التي واجهت خطر انقلاب عسكري، إلا أن الجيش تراجع. والبيرو ونيكاراغوا والأرجنتين، فيما تقول تقارير إن الإنتخابات القريبة في كل من البرازيل وكولومبيا قد تحمل، هي الأخرى، قوى يسارية إلى الحكم.

وفي كل واحدة من إنتخابات هذه الدول، كان واضحا أن امريكا تزرع عملاءها ليكونوا منافسين أقوياء على سدّة الحكم، وبأموال ضخمة، وينجحون في عدد من الدول؛ ولكن حينما يخسرون تسارع واشنطن غالبا للتشكيك بالانتخابات، خاصة إذا كان الفائز المدعوم من اليسار لديه خطاب واضح ضد السياسات الأمريكية وربيباتها من الدول، مثل إسرائيل، التي سارعت وسائل إعلانها للقول في عناوينها، إن الرئيس التشيلي المنتخب غابرييل بورك، من منتقدي إسرائيل بشكل حاد.

ومنذ تأسيسها، سعت الولايات المتحدة لتكون دولة استعمارية لدول أمريكا اللاتينية، إما عن بعد، عبر عملاء، أو بتواجد فعلي في فترات بعيدة سابقة. ولهذا فإن المصلحة الأمريكية هي أن تبقى دول أمريكا اللاتينية فقيرة، مستهلكة، أكثر من أن تكون منتجة، دول ذات أنظمة هزيلة بحاجة للدعم الدولي، في الوقت الذي باتت فيه الإمبريالية الأمريكية، في العقود الأخيرة، القابضة على مفاتيح الدعم الدولي. ولربما أن الأرجنتين والبرازيل بقيتا أقوى اقتصادياً، مقارنة مع باقي الدول، ولكن هذا لا يلغي واقع الفقر في كل واحدة منهما.

وإذا ما نظرنا إلى كل واحدة من الدول التي تقودها قوى يسارية، او ذات توجهات يسارية، أو أن هذه القوى في حالة تناوب على سدة الحكم، تفوز تارة وتخسر تارة، نرى أن الجمهور الأوسع الذي يناصرها لتصل إلى الحكم هو من الشعوب الأصلية، التي حلّ عليها الإستعمار الغربي منذ ستة قرون، تحت تسمية «إكتشاف أمريكا»، بقصد القارتين. وفي حين أن القارة الشمالية كانت عنوانا للمستعمرن من شمال أوروبا، فإن القارة الجنوبية كان المستعمرون فيها من جنوب أوروبا، خاصة إسبانيا والبرتغال.

وكما يبدو، فإن فقراء أمريكا اللاتينية أفضل وعياً من باقي فقراء العالم، إن صحّ التعبير، أو أن الظروف في تلك الدول تساعدهم على أن يكونوا متمردين على بؤسهم، يعرفون عناوين الظلم والاضطهاد، ويوجهون حرابهم نحوها. مايراد قوله، إن شعوب أمريكا اللاتينية تقول لا لأمريكا، وحسب مقولة الشعب الكوبي: «كوبا سي يانكي نو» فصمود كوبا، حتى بعد تفكك الإتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الداعمة لها، بثلاثة عقود هو مؤشر، ولكن لابد من التوقف عند مؤامرتين من سلسلة مؤامرات لا تعدّ ولا تتوقف على شعوب أمريكا اللاتينية، ففي العام 2002 جرى انقلاب من مجموعة عسكرية مدعومة أمريكيا على الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو شافيز، فنزل الشعب الفنزويلي، وخاصة جماهير الفقراء والشعوب الأصلانية للشوارع، وحاصرت المباني الحكومية، ولم يكن أمام مجموعة العسكر سوى أن تتراجع، ويعود شافيز إلى منصبه بعد 48 ساعة، محمولا على أكتاف الجماهير الشعبية، والمؤامرات لم تتوقف على فنزويلا حتى يومنا.

في النصف الثاني من العام 2019 أعاد الشعب البوليفي انتخاب الرئيس إيفو مورالیس، وهو من أبناء الشعوب الأصلانية في بوليفيا وهو اشتراكي، وله مواقف يسارية سياسية واقتصادية تقدميّة، ومواقف مناهضة للاحتلال الإسرائيلي وسياسات اسرائيل، فشغّلت امريكا عملاءها كي تشكك بالانتخابات، وجرت مظاهرات عنيفة، ودرءاً لسفك الدماء والفوضى، استقال مورالیس من منصبه وغادر البلاد، وهنا اندلعت مظاهرات مضادة من مؤيديه. وجرت في العام التالي انتخابات جديدة اختار الشعب البوليفي فيها رئيس حزب مورالیس ذاته، المدعوم من مورالیس وهو في المنفى القسري، وعاد مورالیس إلى وطنه، بعد عام، عودة الأبطال.

وهذا غيض من فيض عن مؤامرات أمريكا وملاحقاتها لقادة أمريكا اللاتينية المخلصين لشعوبهم، وضد السياسات النيوليبرالية والقوى الإستعمارية.

العودة للنفط والوقود الأحفوري.. مُظفرة أم مؤقتة؟

أدت موجة التعافي الاقتصادي التي بدأت تعمّ العالم بعد اتساع نطاق عمليات التلقيح ضد كوفيد-١٩، إلى ارتفاع الطلب على الطاقة في آسيا وأوروبا، وارتفاع أسعار الغاز إلى مستويات غير مسبوقة، هدد بشبح أزمة امدادات للغاز في شهري أكتوبر ونوفمبر الماضيين، راحت تحوم فوق بلدان أوروبا وآسيا المكشوفة - استيرادا - أمام حاجات استهلاك الغاز المتنامية.

ولأول مرة تجري المفاضلة بين سلامة وامدادات الطاقة، وتحديدا الطاقة الأحفورية، متمثلة في امدادات الغاز الطبيعي خصوصاً، وحماية الكوكب من كوارث التغيرات المناخية؛ فقد فرضت امدادات الطاقة الأحفورية نفسها كأولوية تتقدم على أجندة المناخ العالمية التي باتت تتصدر اليوم اهتمامات معظم المشتغلين بالشأنين السياسي والاقتصادي العالميين.

د. محمد الصياد

حدث ذلك "بفضل" أزمة شحّ امدادات الغاز في أوروبا وأنحاء من آسيا التي ظهرت ملامحها الأولى أواخر شهر سبتمبر الماضي، والتي شعر بها الناس في جميع أنحاء العالم من خلال ارتفاعات في أسعار السلع والخدمات، وبضمنها خدمات الشحن البحري سبّبها ارتفاع كلفة الإنتاج نتيجة لارتفاع سعر الغاز الذي فاق الطلب عليه سواءً للتدفئة أو للاستخدامات الصناعية، كوقود أحفوري بديل للفحم والنفط، أقل انبعاثات منهما - فاق الطاقات الإنتاجية والتخزينية (للغاز). حدث هذا ولم يكد فصل الشتاء يبدأ في نصف الكرة الشمالي.

لقد أدى ارتفاع تكلفة استخدام الفحم، برفع سعر الكربون على مستخدميه، الى زيادة الطلب على الغاز. لكن ارتفاع أسعار الغاز أدى للإقبال من جديد على استخدام الفحم. ولم يكن هذا ليحدث (ارتفاع أسعار الغاز)، لو لم تحدث انقطاعات في امدادات طاقة الرياح (تراجع مستوى هبوب الرياح في شمال أوروبا هذا الصيف)، والطاقة الشمسية؛ ولو كان تخزين البطاريات أكثر تقدما. حتى بريطانيا التي تتمتع بأكثر الظروف الجغرافية ملاءمة لطاقة الرياح من أي مكان آخر في أوروبا، استحوذ الغاز فيها على حوالي 60٪ من مصادر توليد الطاقة الكهربائية فيها وقت اندلاع أزمة الطاقة أواخر سبتمبر الماضي.

وبمعنى من المعاني، فقد كان للهرولة نحو الطاقة المتجددة مثل طاقة الرياح والطاقة الشمسية، تأثيراً في زيادة الطلب على الغاز، ربما باعتباره «وقود الجسر" الوسيط بين مصادر الطاقة الهيدروكربونية ومصادر الطاقة المتجددة. يضاف الى ذلك، أن سعي أوروبا لتكون رائدة عالمياً في مجال تغير المناخ، قد غذى هذه النزعة في أسواق عالمية أخرى، ومنها الاقتصادات سريعة النمو في آسيا التي حدت حدوها في الابتعاد عن الفحم، فقط لتجد أوروبا أن دولا مثل الصين والهند تتنافس الآن على نفس إمدادات الغاز الطبيعي المسال التي أصبحت أوروبا تعتمد عليها من دول مثل الولايات المتحدة وقطر.

وبعد أن كان سوق الغاز محصوراً في وسيلة نقله الوحيدة تقريباً، وهي خطوط الأنابيب، أصبح اليوم ينافس سوق النفط العالمي بعد أن نجح منتجوه في توسيع رقعة وسيلة ثانية متمثلة في صناعة تسييل الغاز (Gas liquefaction)، ونقله بواسطة السفن قبل إعادته الى حالته الغازية السابقة (Regasification)، وتثوير نموها بصورة غير مسبوقة.

للمفارقة، فإن أكثر الدول في العالم انحيازاً تاماً، ومتطرفاً إن شئتم، لمصادر الطاقات المتجددة، وأكثرها عداءً سافراً للوقود الأحفوري، لاسيما الفحم والنفط، وهي الدول الأوروبية، هي أكثر الدول التي تضررت، ولازالت، من أزمة امدادات الطاقة، لاسيما امدادات الغاز، التي فاجأت العالم في سبتمبر الماضي. وهي مستمرة في هذا النهج، رغم اتضاح عدم واقعية المقاربة التي تعتمدها والتي تدعو العالم للأخذ بها، وهي الهرولة المتسرعة في التخلي عن الفحم ومن بعده النفط، في مقابل إحلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، والطاقة الهيدروليكية وغيرها، محلهما. فالحكومات الأوروبية قرأت الارتفاعات الشاهقة والمفاجئة لأسعار الغاز العالمية، على أنها دليل يؤكد صحة نهجها في ضرورة الإسراع نحو احلال الطاقة المتجددة محل الطاقة الأحفورية. لكن الشك والقلق بدأ يساور المستهلكين، وبدأ الغضب ينتابهم جراء الكلفة الباهظة لهذه العملية، والتي أظهرتها أزمة الامدادات الأخيرة، والتي يمكن أن تتكرر في الأمد القريب في ضوء عودة الاقتصادات العالمية تباعا الى دورة الأعمال كالمعتاد "Business as usual" بكامل طاقتها.

على المقلب الآخر، قد يتراءى لأقطاب صناعات الوقود الأحفوري، لاسيما الغاز، أنهم وجدوا أخيرا متنفساً جديداً - بحسبان ضغوطات لوبيات المناخ المتزايدة ضد صناعاتهم - في التحالف الذي أقاموه مؤخرا مع كبار متعاملي ومضاربي عملة بيتكوين، خرقاً مهما للضغوطات التي تحاصرهم؛ وذلك على خلفية استغلال ولاية تكساس النفطية قيام الصين بطرد العاملين المنجميين الرقميين وصنّاع العملات المشفرة قبل بضعة أشهر، لاستقبال هؤلاء والترحيب بهم في الولاية التي نظمت أول اجتماع ضمّ حوالي مائتي شخصية من كبار رواد عملة البيتكوين وأقطاب صناعة النفط والغاز الطبيعي في تكساس وكاليفورنيا وكولورادو ولويزيانا وبنسلفانيا ونيويورك وأستراليا وبريطانيا، تباحثوا خلاله حول إمكانية استخدام الغاز الطبيعي المهدر في الجو، لتشغيل منصات تعدين البيتكوين بدلا من الكهرباء، بما يقلل من انبعاثات الغازات الدفيئة ويحقق الفائدة للطرفين.

لكن تعيّن عليهم الانتظار قليلاً قبل معرفة اتجاه الريح التي كانت ستهب بقوّة - حسبما كان متوقّعا - بعد أيام قليلة، من صوب غلاسكو التي استقبلت كبار قادة العالم في أكبر تظاهرة عالمية بعد الجائحة، في مؤتمر الأطراف السادس والعشرين للمناخ (COP26)، والذي جاءت بعض قراراته على غير ما اشتهته سفن أقطاب صناعة الوقود الأحفوري، لا سيما الفحم الذي ذكر بالاسم لأول مرة في ميثاق غلاسكو للمناخ (Glasgow Climate Pact) الذي صدر في ختام المؤتمر.

لكن الخلاصة التي يمكن للمرء الخروج بها من نتائج هذا المؤتمر، هي أن الوقود الأحفوري، خصوصا الفحم والنفط، باعتبارهما أكثر مصدرين للطاقة التقليدية (Conventional energy sources) تُوجه لهما أصابع الاتهام في مستوى انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون - مازال لديهما الوقت لتمويل خزائن الدول المنتجة والمصدرة لهما. فموعد استحقاق كتابة شهادة وفاتهما، لازال غير قريب، خصوصا بالنسبة للنفط الذي لم يتطرق اليه المفاوضون، لاسيما من الدول الجزرية والدول المستهلكة للنفط، لاستمرار حاجة الجميع إليه حتى السنوات العشرين القادمة.

أدوات بناء الأمّة في البحرين: الدولــة، والشــركـــة، والانتفــاضــات

في ٣٠ يوليو ١٩٤٠، كتب تشارلز برايور، المقيم السياسي في الخليج، رسالة إلى سكرتير حكومة الهند في سيملا، وجاء فيها بأن «السياسية البحرينية عبارة عن كتلة من الخيوط المتشابكة. فلدينا العرب السنة والعرب الشيعة، والفرس السنة والفرس الشيعة، والشيوخ، والفلاحون الشيعة، والسعوديون، والعراقيون، واليهود، والهندوس، والمصالح البريطانية ومصالح النفط...إلخ». وبناء على هذه التركيبة السكانية المعقّدة اقترح برايور أن يشترك في كل من يعيّن وكيلاً سياسياً في البحرين، أن تكون لديه خبرة سنتين على الأقل في منطقة الخليج وبلاد فارس، وأن تكون لديه معرفة جيدة باللغتين العربية والفارسية حتى يتمكّن من التعامل مع كتلة الخيوط المتشابكة هذه.

د. نادر كاظم

إن بناء الأمة في البحرين هو تحديداً في تحويل هذه الكتلة المتشابكة من الخيوط إلى جماعة متخيّلة واحدة. وقد اضطلعت ثلاث قوى أو أدوات بهذه المهمة وهي: الدولة، وشركة نفط البحرين (بابكو)، والانتفاضات الوطنية منذ العام 1938.

لا يمكن فصل بناء الأمّة في البحرين كجماعة متخيّلة عن بناء الدولة كجهاز إداري مركزي بما فيه من مؤسسات وقوانين وتنظيمات للحكم أو الرقابة أو الإشراف أو التنظيم؛ والسبب أن أدوات التوحيد الأولى التي سمحت بتخيّل الأمّة في البحرين كانت أدوات حكومية بالدرجة الأولى. حين جاء تشارلز بلجريف، مستشار حكومة البحرين من العام 1926 حتى العام 1957، إلى البحرين في العام الذي رحل فيه كلايف ديلي، أي في العام 1926، كانت البحرين، كما كتب، عبارة عن مجتمع منقسم لا على أساس طائفيّ وإثني فحسب (سنيّ وشيعيّ، وعرب وبحارنة)، بل حتى على أساس حضري، فهناك «اختلاف حادّ في البحرين بين سكان المدن وسكان القرى. إن سكان المدن، في المنامة، والمحرق، والحدّ، هم في الغالب عرب وأجانب من التجار وأصحاب المحلّات وتجار اللؤلؤ وملّاك الأراضي». أما سكان القرى فأغلبهم «مزارعون وصيادون ويغوص كثير منهم في موسم الغوص». وبين هؤلاء وأولئك «اختلاف إثنّي ودينيّ، ويتجلّى ذلك في المظهر واللباس واللهجة وخطاب الناس، وخاصة في حالة النساء». لكن هذا تغيّر بعد عشر سنوات، أي في العام 1937 الذي كتب فيه التقرير السنوي الأول لحكومة البحرين. لقد تغيّرت حياة الناس في القرى بصورة محدودة، كما يقول بلجريف، خلال العشر سنوات الماضية (1926–1937)، لكن «نظرتهم تغيّرت إلى حدّ كبير»، فأصبحوا «أكثر استقلالية من ذي قبل، كما تعلّموا اللجوء إلى الحكومة في حالة التعدي عليهم». والأهم أنهم صاروا «يدركون ويشعرون بالامتنان تجاه مزايا الحكومة المركزية التي جعلت من المستحيل على ملّاك الأراضي أن يأخذوا القانون بأيديهم، أو أن يهاجموا مستأجريهم دون مبرّر».

لقد اضطلعت أجهزة الدولة الإدارية، حديثة التكوين خلال عشرينيات القرن العشرين، بمهمة تحويل تلك «الفئات القاطنة في البحرين» إلى «أمة»، وذلك عبر شقّ الطرق، وتشبيك الجزر والبلدات والقرى بشبكة مواصلات واتصالات (طرق وشوارع وجسور وإذاعة وشبكة هاتف وتلفزيون)، وبناء المدارس وتعميم التعليم في المدن والبلدات والقرى. الأمر الذي سمح لتلك «الفئات القاطنة في البحرين» بلقاءات واتصالات سهلة وسريعة ومكثّفة، فصار بإمكان أهل قرية الزلاق، في أقصى الجنوب الغربي من البحرين، أن يتخيّلوا قرابة محتملة مع أهل قرية قلالي، في أقصى الشمال الشرقي في البحرين. كما صار بإمكان هذه «الفئات» التقارب والتوحّد حول مصالح ومطالب مشتركة كأمّة. وصارت فرص الألفة وتحويل «العجائب والغرائب» إلى مألوفات اعتيادية، بحيث لا يستغرب بحريني من قرية معينة حين يرى بحرينيًا آخر من قرية أخرى يتحدّث بلهجة مختلفة، ويدين بمذهب دينيّ مختلف، أو حتى لو بدا له بملامح بدنية مختلفة.

على صعيد آخر، اضطلعت شركة نفط البحرين (بابكو) بدور توحيدي مهم، لا على مستوى دعم الحكومة في العديد من الخدمات العامة من شق الطرق وصيانتها إلى إنشاء المدارس وتأثيثها، خاصة في المناطق التي تمثّل أهمية حيوية للشركة وعمّالها، بل لأنها مثّلت واحدًا من مواقع العمل الأولى والأساسيّة التي جمعت آلافًا من العمّال القادمين من كل مناطق البحرين، حيث «تعارف أهل القرية البحرينية والأحياء البعيدة، وانصهروا في بوتقة علاقات» مشتركة، و»اختلطت اللهجات والعادات اليومية». وما هي إلا سنوات قليلة حتى توحّد هؤلاء القادمون من كل مكان في مطالب ومصالح عمّالية واحدة.

قادت هذه المطالب والمصالح العمّالية الواحدة إلى تنفيذ أول إضراب عمّالي في تاريخ البحرين في العام 1938. وافتتحت، بهذا الإضراب، مسيرة الحركات والانتفاضات الوطنيّة التي اضطلعت هي الأخرى بدور لا يمكن تجاهله في توحيد البحرينيين حول هموم ومطالب وتطلّعات وتضحيات وآلام وحسرات مشتركة. إن ما وحّدته الدولة والشركة بالتعليم الحديث وشبكات الطرق والمواصلات ومواقع العمل ومصالح العمّال المشتركة، فعلته الانتفاضات الوطنيّة عبر رسم حدود الأمّة بكثير من الآمال والتطلّعات والآلام والتضحيات

والحسرات. لقد صهرت الانتفاضات الوطنيّة الإثنيات والطوائف والمناطق في بوتقة صهر عظيمة. وبقدر ما كانت بوتقة الانتفاضات مفعمة بالأمل والتطلّع والحلم بمستقبل أفضل، فإنها كانت مؤلمة ومضمّخة بالآلام والتضحيات وتجارب السجن والاعتقال والموت والمنافي والحسرات على الفشل المزمن في تحقيق المطالب منذ القضاء على هيئة الاتحاد الوطني في العام 1956 إلى القضاء على انتفاضة مارس 1965، إلى انتخابات المجلسين التأسيسي 1972 والنيابي 1973، إلى حلّ البرلمان في العام 1975.

إذا كان بناء الأمّة هو حصيلة توحيد إثنيّات وطوائف وجماعات وقبائل في جماعة متخيّلة واحدة، وتحويل تلك «الفئات القاطنة في البحرين» إلى أمة، فإن هذه المهمة اضطلعت بها في البحرين ثلاث قوى أساسية (الدولة الحديثة، وشركة نفط البحرين، والانتفاضات الوطنيّة). لقد مثّلت هذه القوى أدوات التوحيد الثلاث الأساسية، وعملت، بتزاوج قصص نجاحها وآلامها، وبوعي أو بدون وعي، كأدوات التاريخ التي كتبت فصول السيرة الملحميّة لبناء الأمّة الحديثة والجماعة الوطنيّة في البحرين منذ بدايات ثلاثينيات القرن العشرين حتى أواخر سبعينياته.

نعم، قام سوق المنامة تاريخيًّا بدور توحيدي لا يمكن إنكاره في تاريخ البحرين، عبر شبك الجميع بمصالح مشتركة بالإنتاج والتوزيع والتعاون والبيع والشراء والتكامل الاقتصادي. كما يمكن الحديث عن دور مواسم الغوص في تجميع آلاف الغواصين معًا لا على متن السفينة/السفن فحسب، بل في مظالم واحدة قادت في

قام سوق المنامة تاريخيًا بدور توحيدي لا يمكن إنكاره في تاريخ البحرين، عبر شبك الجميع بمصالح مشتركة بالإنتاج والتوزيع والتعاون والبيع والشراء والتكامل الاقتصادي

النهاية إلى انتفاضة الغواصين (هدّة الغاصة) في يناير 1927، ومايو 1932. كل هذا صحيح، ولكن ما فعلته الدولة والشركة والانتفاضات الوطنيّة كان عملًا ثوريًّا شاملًا إذا قيس بما فعله سوق المنامة ومواسم الغوص، بل لم يسلم السوق ومواسم الغوص من التغيير الشامل الذي أحدثته الدولة والشركة والانتفاضات الوطنيّة. فعلى الرغم من وجود آلاف الغواصين العاملين في استخراج اللؤلؤ في البحرين، إلا أن هذا لم يكن يعني توحيد مصالح هؤلاء الغواصين الذين بقوا مستسلمين لوضعهم البائس على نحو قَدَري غريب.

وحتى حين اقتنع هؤلاء بأن وضعهم البائس لم يكن قَدَريًّا، بل هو قابل للتغيير لأنه نتاج ترتيبات بشرية تنتج الظلم والتوزيع غير العادل لأرباح تجارة اللؤلؤ، فإن انتفاضتهم لم تكن فقط خاطفة وسرعان ما هدأت بالقوة، بل إنها بقيت انتفاضة خاصة بهم دون أن تتحوّل إلى انتفاضة وطنية بحكم أنها كانت انتفاضة طبقية من الغواصين البحرينيين وغير بحرينيين (بلجريف يذكر أن بعضهم كانوا من عمان ومن الصومال) ضد النواخذة وأصحاب السفن ومموّليها الذين كانوا بحرينيين في الغالب. نعم، تغيّر الحال حين تحوّل هؤلاء الغواصون البحرينيون إلى عمّال في شركة نفط أجنبية. كانت بابكو شركة أمريكية، الأمر الذي جعل الاحتجاجات ضدها عبارة عن مزيج من الاحتجاجات الطبقية ومناهضة الاستعمار والهيمنة الأجنبية. أضف إلى هذا أن كثيرًا من هؤلاء العمّال كانوا قد تلقّوا تعليمًا حديثًا في مدارس الدولة قبل أن ينخرطوا في حراك الانتفاضات الشعبية.

وما قلناه عن الغوص والغواصين ينسحب على سوق المنامة. فما كان لمركزة سوق المنامة أن تكتمل لولا تدخّل الدولة وبناء شبكات الطرق والمواصلات. كما أننا حين نتحدّث عن السوق في تاريخ البحرين الحديث، فإننا نتحدّث عن حقبتين: السوق قبل شركة بابكو، والسوق بعد بابكو؛ لأن الشركة واكتشاف النفط غيّر السوق وعلاقات السوق على نحو شامل. أما الانتفاضات الوطنيّة فكان إغلاق محلات السوق علامة على نجاح إضراباتها الشاملة، كما أن الإضراب كان يعني نقص القدرة الشرائية للعمّال المضربين. إن مركزة السوق بفضل الدولة، وتثويره بفضل شركة النفط وصناعة النفط، وحتى إغلاقه إبان الانتفاضات الوطنيّة، إنما يعني أن هذا السوق صار موضوعًا وتابعًا وتحت رحمة أدوات بناء الأمّة الحديثة: الدولة، والشركة، والانتفاضات.

متسولون على أرصفة الفراغ

قبل سنوات شاهدت فيلمًا وثائقيًا على إحدى محطات التلفزة، الفيلم بسيط ورتيب الإيقاع، ولا يحمل أي عنصر من عناصر الإثارة. "زوجات عباس" فيلم يروي حكاية زوجتين أرملتين ووحيدتين، غادرهما الزوج عباس منذ زمن، وبقيتا تقطنان البيت نفسه وتتشاركان فيما تبقى لهما من حياة منقضية وخالية من أي عمل او اجتماع بشري. تقضي الأرملتان وقتهما الطويل والممل في أداء الصلوات وقراءة القرآن والتسبيح وتناول الطعام والثرثرة حول ذكريات بعيدة، ثم يحلّ الصمت وتجلسان الساعات الطوال في التحديق في الفراغ. النشاط الوحيد الذي تمارسانه يوميًا خارج إطار الحاجات الطبيعية والعبادة، هو فتح صندوق الملابس القديم واستخراج كفن أبيض خاص بكل منهما وفتحه وتصفيفه وإعادة طيّه من جديد ووضعه في مكانه. هكذا كل يوم.

عصمت الموسوي

عن الفراغ الطويل والكثير الذي يعيشه البشر في زمننا، أود أن اتحدث في هذا المقال، بعد أن اكتسحت التكنولوجيا المتطورة والأتمته كل نواحي حياتنا وسّهلتها وبسّطتها وقللت من فترات الإنتظار الطويل. على عكس زوجتي عباس اللتين عاشتا دون أجهزة محمول وحواسب وهواتف وتلفزيونات ووسائل ترفيه متنوعة، فإن أهل هذا الزمان أكثر فراغًا منهما، فهذه الوسائل منحت البشر وقتًا اطول وعملًا أقل، وثمّة فئة وعت إلى هذا الفراغ القادم لا محالة واختبرت بداياته وجرّبت مساوئه، فاستعدت له بالإنخراط عميقًا في لجّة الحياة ومعاركها الجديرة بالدفاع عنها والموت من أجلها وبالبحث عن الهوايات والمهارات الجديدة وتعلمها وتنميتها، وفئة باغتها غول الفراغ فاستسلمت له وصارت نهبًا لأمراض الإكتئاب والإنسحاب من الحياة ومحاكاة زوجتي عباس.

اللافت أن البشر يتساوون في التعامل مع الفراغ، إذ لم تمنح الوفرة المالية أوقاتًا أجمل ولا حياة أمتع للميسورين والأغنياء والمترفين الذين جربوا كل شيْ واكتفوا من كل شيئ في زمن قياسي، بل صار التحدي هو في قدرة المرء في الحصول على شغفه الخاص به والإنشغال به والتمتع به والتفنن فيه وصدّ هجمات الفراغ والضجر وشيخوخة الذهن ونسيان وجود كفن في دولاب الملابس.

على منصّات التواصل الاجتماعي نرصد بشراً متنوعين وتكاد تستشعر حجم الفراغ الذي يكتسي حياتهم المملة والمنعدمة المعنى والهدف، فيملؤونه باستعراض بيوتهم وملابسهم وانشطتهم وماذا اكلوا وأين سهروا؟. ربما يكتنفهم الخوف والرعب من نسيان الناس لهم ، بينما هم – أو هكذا يرون أنفسهم – جديرين بالحسد والغيرة .

ولعنا نرى أن البشرية على كوكبنا

اختبرت الفراغ الأكبر في مسيرتها مع غزو فيروس «كورونا» منذ ثلاث سنوات والذي أدى إلى الإغلاق والتباعد والحجر والبقاء في المنازل وعدم الاختلاط، وربما ضجت الناس من تداعيات المرض وما تولد عنه من وحدة قسرية وفراغ أكثر منه مرضًا ومعاناة وموتًا .

حتى أولئك الذين نعتقد أنهم اكثر انشغالا من غيرهم كالمسؤولين ومن يشغلون الوظائف والمسميّات العليا فما هم – احيانا – إلا متسولين وفقراء على أرصفة الفراغ وباحثين مثلهم مثل غيرهم عن نسمة انشغال مفرحة وجميلة ومختلفة تعيد الوهج إلى حياتهم الفارغة. احد مدراء البنوك قال لي ذات مرة أعمل ثلاث ساعات في اليوم فقط، أما باقي الوقت فأقضيه في مكتبي في لعبة الورق على الهاتف، وإذا زارني عميل أو موظف تذرعت بالإنشغال وضيق الوقت ومثلت دور "المشغول" .

طرحت سؤالاً: «كيف تديرون فراغكم» على عدد من جروبات الواتس اب الخاصة بي، ففوجئت بالكثيرون يقولون «لا وقت فراغ لدينا ولا تكفينا ال24 ساعة اليومية، ونحتاج إدارة رشيدة للوقت وليس إدارة الفراغ» قالت اخرى: «حين يخلو يومي من المسؤوليات اتفرغ لنفسي فقط ولقراءاتي المحببة"، فيما قالت ثالثة: «تستنزف الواجبات العائلية كل وقتي» وقال رابع: «نحن اسرى الهواتف متسمرون طوال اليوم أمام شاشاتها عملًا وتواصلًا ولهوًا وإشغالًا للوقت» .

واستنتجتُ أن الكثيرين يرون الفراغ معيب جدًا، ما يحملهم على نكران وجوده في حياتهم، فيلهثون لتعبئته «فالفضاوة» ارتبطت في الاذهان بكونها رديفة التفاهة والغباء والبلادة وانعدام المواهب والإنجاز، لكن في منتصف العمر أو ربما في اواخره قد يجد الإنسان ضالته ويعرف أين تكمن سعادته وشغفه فيترك ما اعتاده من عمل روتيني ويجري خلف مطمح جديد وحلم واعد وباعث على الفرح والسعادة مرددا مقولة ارخميدس الشهيرة: «وجدتها.. وجدتها».

قراءة في كتاب نقد التراث

يُعدّ مشروع العرب والحداثة لعبد الإله بلقزيز من المشاريع الكبرى في نقد أهم القراءات للتراث العربي الإسلامي من قبل المفكرين الحداثيين العرب. وهذا المشروع يتضمن أربعة كتب تحمل العناوين التالية: من الإصلاح إلى النهضة، ومن النهضة إلى الحداثة، ونقد التراث، ونقد الثقافة الغربية.
ما يعنينا في هذه المقالة هو الكتاب الثالث، نقد التراث الذي ينقسم إلى خمسة أقسام: مقدمات نظرية ومنهجية في التراث، التاريخ الثقافي، نقد التراث الطلب الإيديولوجي، نقد التراث البنية والتاريخ، من نقد التراث إلى نقد العقل.

جلال إبراهيم

في القسم الأول يركز فيه بلقزيز على موضوعة سؤال التراث باعتباره سؤال الصلة التي تربط حاضر الثقافة والمجتمع بماضيهما. والمجتمعات المأزومة هي أكثر المجتمعات عنايةً بماضيها، لعلها تجد أجوبةٍ ناجزة عن مشكلات حاضرها. وهذا ما ينطبق على العرب في التاريخ الحديث والمعاصر، وعلى العكس من الثقافة الغربية المتحررة إلى حد كبير من سؤال التراث. وقد طالب فلاسفة الحداثة وما بعد الحداثة المعاصرين في أوروبا بضرورة أن يُعاد التفكير في التراث الديني المسيحي، بعيداً عن يقينيات النزعة الوضعية والعلمانية المتطرفة. بالمقابل تأرجح التراث العربي الإسلامي بين النزعتين التبجيلية–التقديسية، والنزعة الإنكارية–الاحتقارية على حد وصف عبد الإله بلقيز.

يتفق بلقزيز مع العروي في أن سؤال التراث ما كان ليطفو على سطح الوعي العربي لو لم يكن ثمة من أيقظه، أو وفر لانبعاثه الأسباب. ولقد أيقظه الآخر الأوروبي، بمدنيته وثقافته وأسئلته التي اندفع الفكر العربي يجيب عليها. أي أن الآخر هو من أنتج سؤال الأنا. غير أن هذا السؤال الذي ولد في النصف الأول من القرن التاسع عشر بدأ سياسياً، وسرعان ما سيصبح فكرياً في بدايات القرن العشرين. بينما الاندفاعه الكبرى في ميدان الدراسات التراثية–في صورته العلمية الحداثية–حصلت في النصف الثاني من ستينيات القرن العشرين.

يرى بلقزيز أن تاريخ الدراسات التراثية للتاريخ العربي الإسلامي مر بثلاث حقب أو لحظات تاريخية: لحظة التاريخ الثقافي، لحظة نقد التراث، لحظة نقد العقل. الأولى تبدأ مع بطرس البستاني في مؤلفه دائرة المعارف والذي يعد من المؤسسين في مجال التاريخ الثقافي للتراث العربي. لكن البداية الفعلية لممارسة التاريخ الثقافي كانت مع فرح أنطون في مقالاته العميقة عن ابن رشد. غير أن النقلة الأوسع كانت مع جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي، وفي اطروحات طه حسين أحد الرواد الكبار في هذا المضمار.

اللحظة التاريخية الثانية تبدأ بعد نكسة 1967 حيث أصبح الصراع بين الأصاليين والحداثيين شديداً حول توظيف التراث العربي الإسلامي ايديولوجياً. وإذا كان الليبراليين العرب الأوائل دشنوا استخدام المنهج العلمي بمستوى محدود وأولي في النظر إلى التراث، فإن اليساريين ذهبوا في دراسة التراث نحو آفاق إيديولوجية ثورية ومعرفية وفق المادية التاريخية. لذلك المعركة بالنسبة لمثقفي الحداثة من اليساريين والماركسيين هو في توظيف التراث خدمةً لأغراض التقدم، ولكن المحكوم بإطار الايديولوجيا الضيق.

أما اللحظة التاريخية الثالثة فتتميز بنقدها لبنية التراث، ورائدها أدونيس في مؤلفه "الثابت والمتحول" حيث اختار قراءة بنية الثقافة العربية برمتها، وليس فقط الشعر والأدب. ويرى أدونيس بأن أفق الحداثة يفتحه نقد التراث. أما الهدف من نقد الموروث، فهو تحرير العربي من كل سلفية، ونزع القدسية عن التراث. أي النظر إليه بما هو منتوج تاريخي، تسري عليه أحكام المكان والزمان، والنسبية البشرية.

النقلة الواسعة في الدراسات التاريخية للتراث العربي الإسلامي هي في الانتقال من مرحلة نقد التراث إلى نقد العقل. وفي هذا المسار يدعو محمد عابد الجابري إلى إيجاد حداثة من الداخل، أي حداثة من داخل التربة الفكرية العربية وإلا كانت حداثة مستعارة، مفروضة من فوق، مما لا تُكتب لها حياة معها. ولذلك جاهر الجابري صراحةً إلى الانحياز الثقافي لخيار النهضة والحداثة والتقدم.

بينما تؤرخ أعمال محمد أركون، في مجال الدراسات الإسلامية، لميلاد لحظة الانعطاف المنهجي في ميدان دراسات التراث. وهي لحظة الانتباه الكبير إلى الثورة المعرفية الجديدة، التي دشنتها العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب. وإنتاجات أركون الكبيرة تقوم على خمس استراتيجيات معرفية حاكمة لمشروعه، يلخصها بلقيز في التالي: نقد الدراسات الإسلامية الكلاسكية، ونقد العقل الإسلامي، وإعادة قراءة النص القرآني في ضوءٍ منهجي جديد، والحفر في جذور النزعة الإنسانية في التراث العربي الإسلامي الكلاسيكي، وأخيراً نقد الصلات والروابط التي قامت بين الدين والدولة في الإسلام.

ويختم بلقزيز كتابه بالحديث عن مقاربة عبد الله العروي لمسألة العقل في الإسلام وفي الثقافة العربية الإسلامية، حيث يقف دافعان وراء هذه المقاربة، هما: الاطمئنان المزمن، في الوعي الإسلامي، إلى التلازم بين الدين والعقل، وملاحظة ظواهر الفجوة الكبيرة بين خطاب يبجل العقل والعقلانية، وواقع ينطق بالشواهد الدالة على التجافي بين السلوك الفردي والجماعي وبين العقل.

بحق يُعد كتاب نقد التراث لعبد الإله بلقزيز مصدراً هاماً وأساسياً للباحثين والدارسين للتراث العربي الإسلامي، لأنه اهتم بقراءة عشرات المصادر من الكتب والدراسات التي أُلّفت خلال ما يزيد على قرن في موضوع التراث والدراسات الإسلامية في نطاق الثقافة العربية، فضلاً عن التحلي بالعمق والموضوعية في طرحهِ وانتقادهِ لكبار المفكرين العرب الحداثيين الذين أغنوا المكتبات العربيَة بمؤلفاتهم.

الإنسان في حدود الزمكان

الوقت يمرّ من بين أيدينا ويتخللنا في غالب الأحيان دون أن نشعر، ماهو ذلك العداد الوهمي الحقيقي والإطار الذي لا يمكن أن نخرج منه؟ ما أصل ذلك الشيء المسمى بالوقت أو الزمن time الذي نحدد به أعمارنا، أعمالنا، فراغنا حتى نومنا واستيقاظنا؟ ما ذلك الشيء الذي يمتد في خط مستقيم دون توقف، بحيث لو افترضنا أن حدثاً ما وقع قبل ثانية من الآن فإننا بكل طاقاتنا المهولة لن نستطيع أن نرجع بالوقت ثانية واحدة للوراء أو نقدّمه ثانية واحدة للأمام! ثمة من يُرجع هذه الأمور الى القَدَر أو سوء الطالع وحُسنه، وهناك من ينغمس في الماضي يريد الرجوع إليه ومن يتملكه الإضطراب من المستقبل...

حسين الربيع

في شذرة من تأملات أنيسكيمندر– من فلاسفة الطبيعة ماقبل سقراط – يقول: «الأشياء تتحول من بعضها إلى بعض وفقاً للضرورة وتقيم العدل بينها وفقاً لنظام الزمن". لكن، ماهو نظام الزمن؟ هل هو الشيء الذي تقيسه ساعة يدي الآن؟ هل نوجد في الزمن أم يوجد فينا؟– تسأل أليس ماطول الأبدية؟ يجيب الأرنب: أحياناً ثانية واحدة لا أكثر! يقول كارلو روفيللي في كتابه نظام الزمن معقباً: «ثمة أحلام لا تستمرأكثر من لحظة واحدة يبدو فيها كل شيء وقد تجمّد إلى الأبد، الزمن مطاطي في خبرتنا الشخصية معه، الساعات تنقضي سريعاً مثل الدقائق والدقائق قد تكون بطيئة ثقيلة الوطأة كما لو كانت قُروناً.

من ناحية نجد الزمن منظّماً في الروزنامه الطقوسية: عيد الفصح يعقب الصوم الكبير والصوم الكبير يتلوه الكريسماس، شهر رمضان يستهل بالهلال ويختتم بعيد الفطر...إلخ، ومن ناحية أخرى كل تجربة صوفية مثل اللحظة المقدسة (الفناء في الذات الإلهية) التي ينذر لها سالك الطريق نفسه تلقي بالمؤمن بها خارج الزمن وتقيم اتصالاً بينه وبين الأبدية، إذن كيف أدخلنا في رؤوسنا أن الزمن يمرّ في كل مكان بالسرعة نفسها قبل أن يكشف لنا آينشتاين خطأ تلك الفكرة"

يرى أرسطو أن الزمن قياس التغيّر، إذا لم يتغير شيء فلا زمن: «الزمن هو: رقم التغيّر، مابين قبل وبعد» في حين يقف نيوتن على النقيض من أرسطو، إذ أن الزمن عنده يمرّ بصورة مستقلة عن الأشياء وعن تغيراتها، بحيث لو ظلت الأشياء ساكنة فإن الزمن سيواصل المرور ويكون مساوياً لنفسه دون أن يتأثر، فالزمن وجود مطلق يتدفق بذاته. لم يتقبل معظم الفلاسفة العقلانيين هذه الفكرة فقد رفضها ليبنتز رفضاً قاطعاً فهو يرى أن الزمن يكون تراتبياً وفقاً للأحدث ولا وجود لزمن مستقل بذاته.

أما فيلسوف العقل والمثالية العملاق إيمانوئيل كانط فيفصّل أكثر في الزمان والمكان ويحدد لهما تصورات مختلفة ويضعهما ضمن الحدس المتعالي بحيث أنهما شكلان أوليّان للحدس الإنساني يحددان كل ما يُدرك بالحواس، بمعنى أن كل الأشياء التي تدرك بالحواس إنما تدرك عن طريق الزمان والمكان. المكان شكل كل ظواهر الحواس الخارجي، أي الشكل الذاتي للأشياء المحسوسة الذي به يمكن وجود أصل خارجي، فلا يمكن تَصوّر وجود أشياء من دون حيّز مكاني، هذا بعكس سهولة تصورمكان ولا أشياء فيه. أما الوقت أو الزمان فهو شكل الحس الداخلي الباطن لدى الإنسان، ولأن هذا الأصل الباطن لايقدم أي رسم (شكل مادي)، فنتمَثّلهُ في تسلسل الزمن على أنه خطٌ يمتد الى ما لانهاية وأجزائه المختلفة تكوّن سلسلةً ليس لها إلا اتجاه واحد وامتداد أوبُعد واحد. ★مصدر:عمانوئيل كنت/عبدالرحمن بدوي/الدار

أضاف العبقري ألبيرت آينشتاين الزمن كبُعد رابع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان الثلاثي الأبعاد كعلامة أساسية للقياس، فبدون الزمن يصبح القياس ناقصاً وسمى تلك الوحدة بالزمكان spacetime كدلالة للإرتباط الوثيق بينهم.

يضع الطبيب والفيلسوف الفرنسي أليكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»، تصوراً مختلف للزمان وفقاً لجسم الإنسان العضوي والنفسي، يَفترض أن هناك عالَمين مختلفين لايتداخلان؛ عالَم خارجي وعالم داخلي، إن كل شيء له وجود مادي يشتمل على حركة داخلية وكل جسم له حالات متعاقبة خاصة به ونَسَق خاص، هذه الحركة الداخلية الدائمة لجسم ما هي الزمن الفطري والعمر المفترض له والذي يمكن قياسه بالنسبة الى شيء آخر، هكذا يمكننا قياس أعمارنا مقارنة بالزمن الشمسي وهو حركة دوران الأرض حول الشمس و حول محورها أي تعاقب الليل والنهار منه نقيس الأيام والشهور والسنين.

هذا هو الزمن الخارجي المنفصل عن الداخلي العضوي :"فالعمر –حسب كاريل– حالة عضوية ووظيفية يجب أن يقاس تبعاً لتناسق تغيرات هذه الحالة، ويختلف هذا التناسق من فرد لآخر، فبعض الأفراد يظلون صغاراً لسنوات كثيرة على العكس تتبدد أعضاء أشخاص آخرين في مرحلة مبكّرة من الحياة" أي أن مايحدد عمر الإنسان الحقيقي هو الزمن الداخلي العضوي البيولوجي وهو نسبي ومتباين من شخص لآخر. يرى كاريل أنه من غير المنصف أن يُحدَّد عمر التقاعد وفقاً للعمر الخارجي (العداد الزمني) وتجاهل العمر الداخلي، وهي واحدة من المسائل الأخلاقية إذ كيف لشخص انحلّت بعض أعضائه الحيوية في عمر مبكر أن يستمر في العمل بنفس وتيرة الأشخاص الآخرين وينتظر سنّ التقاعد المقرر مسبقاً ليتحصل على كامل حقوقه!

ختاماً، الحنين المفرط للماضي يبعث على الإحباط وخيبة الأمل والتفكير المبالغ به في المستقبل يبعث على الهوس والإضطراب، نحن مابين الذاهب والقادم نمتلك "اللحظة"؛ الآن، هذه اللحظة هي حياتنا هي مايجب أن نعيشه بكل تفاصيله وننغمس فيه، لأننا –كما ذكر الفلاسفة – يستحيل أن نعيش خارج هذا الإطار الإسمنتي السميك «الزمكان».

على أي حال، يمكننا التملّص من قبضة هذا الزمكان عن طريق الخيال المتمثل في القصص والروايات والملاحم والمسارح والسينما أو قراءة التاريخ وعلوم المستقبل، لكن النقطة الأهم التي يجب أن نرتكز عليها هي الآن "الحاضر" يقول كارلو روفيللي:"العالم الذي منح لنا عالمٌ يُرى من الداخل، لا من الخارج"

فلسفة سبينوزا وفن العيش

لا أعرف إن كان دور المثقف أن يزعج السلطات كما يقال «لكنّي أعرف أن دور الفيلسوف أن يزعج الجميع بلا استثناء»

سعيد ناشيد

في هولندا ١٦٣٢م وُلد باروخ سبينوزا وسط عائلة يهودية، إلا أنه حين شَبَّ ما عاد يرى نفسه يهوديًا. وكأي فيلسوف حاذق أخذ يتساءل عن علاقة اللّه بالإنسان، بمخلوقاته وآلامهم، والعالم. لنرى في النهاية أن إله سبينوزا، هذا الفرد الواحد، أوسع من إله الجماعة التي انتمى إليها.

في رواية (عالم صوفي) عن تاريخ الفلسفة بَوَّبَ جوستاين غاردر فصل سبينوزا بجملة: «ليس اللّه محرك دمى». هكذا قَدَّمَ جوستاين الصورة السبينوزاوية للإله وعلاقته بالعالم، وهي ربما تشبه ما أراد أن يقوله فيلسوف الشعراء في شعره: «إذا كان لا يحظى برزقكَ عاقلٌ*وترزُقُ مجنونا وترزقُ أحمقا – فلا ذَنبَ يا رب السماءِ على امرِئٍ*رأى مِنك ما لا يشتهي فتزندقا».

سبينوزا والحاخامات للفنان البولندي صموئيل هيرشنبرغ تصور سبينوزا كرجل يمشي مستغرقًا في كتابه ولا يلتفت بينما يقف الحاخامات في الخلف في توجس ويلتقط أحدهم حجرًا ليرميه به. رُسِمت في ١٩٠٧م.

هذه من كفريات المعري كما يقولون، إلا أنها من إيمانياته أيضا، فالإنسان لا يمكن أن يعيش فارغا من صورة يؤمن بها. المعري مؤمن من الناحية الفلسفية، ومن يقرأ فلسفته يدرك أنه رجل روحاني وليس ملحدًا كما هو في مقاييس علماء كلام الشريعة. كان المعري يرى أرزاق الناس توزع بغير عدل، فالمجانين والطغاة يتلذذون بأموال الناس، بينما العقلاء والحكماء فقراء. إنه هنا ينزه إلهه عن هذه القسمة، ونحن اليوم نعرف أن فساد أو صلاح أي أُمَّة اقتصاديًا هو أمر بشري، ففي بلد تنتشر فيه المحسوبيات أو التمييز العرقي والطائفي والإقصاء على الهوية.

إن إله سبينوزا كإله المعري: "ليس محرك دمى" كما يصفه غاردر. وتأتي هذه الصورة متكاملة مع استنتاج الفيلسوف غَلَبَةَ الشر على الخير في عالم المادة، والمُراد منه ربما تنزيه الإله عن شرور الإنسان، وتندرج هذه الشرور في قضايا الاجتماع والاقتصاد والسياسة. ولكن ماذا عن القوى القاهرة – الطبيعية – كالأمراض والزلازل، الفيضانات والبراكين؟!

يمكن أن نشبه إلـه سبينوزا بصانع الساعة فهو خلق ساعة الوجود هذه، ووضع فيها قوانينها الفيزيائية بحيث لا تتأخر ولا تتقدم، وإن ما يصيبها من عطب بعد خَلقها أو فساد لهو جزء من صميم قوانينها. كل شيء في العالم يحصل بالضرورة، وتبدو هذه الرؤية أكثر منطقية مقارنة بالتفسيرات الغائية التي تجعل لتلك الكوارث غايات لقِوى ماورائية، فنحن مثلًا نقع في ازدواجية

أحمد السعيد

أمام تفسير الحالة الطبيعية لحدوث المرض بإحالته أحيانا للعقاب الإلهي و أحيانًا نسميه ابتلاء محب لحبيب، فالله يمكن أن ينزل ذات الحدث القاهِر كابتلاء من محب أو كعِقاب غاضب، ويعتمِد هذا الاختلاف على ما نقيسه من مسافة بين من حدث فيه المكروه والإله الذي نؤمن... لكن كيف نفسر ذلك الحدث بوصفه عقاباً أو بلاء، وهو قد يعترض البهائم، أو يحرق الغابات؛ تلك الكائنات التي لا علاقة لها بما نفكر فيه ونؤمن؟!

كان سبينوزا يرى أن كل ما في الطبيعة هو امتداد إلهي، كان يضع الله في موازاة الطبيعة، بل كان يرى الله في كل موجود، وكل ما هو موجود في الله، معنى ذلك أن الوجود عند سبينوزا واحد. وقد آمن أصاحب وحدة الوجود بذات الفكرة في الإسلام واستشهدوا بآيات من قبيل: "فلما سويته ونفخت فيه من روحي" أو "أينما تولوا فثم وجه الله" والقرآن قد يحمل دلالات أو شواهد لهكذا منطق... إلا أن لفلسفة سبينوزا على أية حال علاقة خاصة ورؤية تتمايز عما هو في فلسفة الديانات اليهمسلامية الثلاث.

فن العيش عند سبينوزا
(الغني من استغنى)

إن مبدأ كل شيء واقع بالضرورة جعل سبينوزا يتعامل مع نوائب الحياة بسلام روحي، وهو أمر قريب من القول بالقضاء والقدر رغم أنه مختلف، فالقول بأن كل شيء واقع بالضرورة في فلسفة سبينوزا يعني بأن كل شيء هو امتداد للطبيعة/لله وأن الإنسان حين يفكر في الشيء فهذا لا يعني أنه يفكر بحرية، بل هو يفكر وفق امتداده الطبيعي أو الإلهي، تماما مثلما ان الامتداد الطبيعي أو الإلهي لشجرة التفاح لا يمكن أن يثمر عنبًا.

إن التفكير في الله/الطبيعة كالشيء الواحد الذي يتصرف بحرية، وإننا نفكر من خلاله، جعل من سبينوزا يحمل نكهة صوفية في فلسفته، فقد كان من أكثر الأشخاص الذين دعوا للتسامح الديني، وهذا بالضرورة جعله يصطدم بالمفاهيم اليهودية، ما جعل المجلس اليهودي يصدر قرارًا ذا لهجة غاضبة يتضمن العبارات التالية: «بموافقة الطائفة المقدسة كلها، وفي وجود الكتب المقدسة ذات الستمائة والثلاثة عشر ناموسًا المكتوبة بها، نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة، وليكن مغضوبًا وملعونًا نهارًا وليلًا، ونرجوا الله ألا يشمله بعفوه، وأن ينزل عليه غضبه وسخطه...».

رغم كل العواقب والهجوم لم يتخلَ سبينوزا عن فلسفته ودفاعه عن حرية التعبير، حتى مع أقسى عقاب عوقبت به روحه حين أنكرته عائلته باعتباره زنديقًا، وحتى بعد وفاة والده حين استغلت أخته قرار المحاكم اليهودية التي تنص بحرمانه من الإرث. فهو لم يأبه بأن يحصل على ذلك الميراث أبدًا، وجعلته مقاومته ضد تلك الحرب من طائفته وعائلته أن يعيش منعزلاً، مكرسا وقته للفلسفة، مكتفيًا بما يعيش عليه من حرفته البسيطة في صناعة النظارات وصقل العدسات وبيعها، وأخـيرًا حين أنصفته المحكمة وقررت أن ينال حقه من الإرث، تخلى عنه، واكتفى بالعدالة والإنصاف الرمزيين.

إن هذا الموقف – استمداد القوة من الاستغناء وعزة النفس بالعيش من عمل اليد – هو موقف مشترك عند الحكماء، ففي الرسالة القشيرية في علم التصوف يحكي عبدالكريم بن هوزان أن خادم السلطان مرّ على حكيم فوجده يأكل من حشائش الأرض، فقال الخادم: لو أتيت لتخدم السلطان لكفاك هذا. فقال الحكيم: وأنـت، لو اكتفيت بهذا لما احتجت لخدمة السلطان. ويُحكى أن الاسكندر الأكبر مر على ديوجين الكلبي في قصة مشهورة، فقال الأسكندر: ما تشاء يا ديوجين. فأشاح بيده قائلا: أن تبتعد قليلًا لأرى ضوء الشمس. وفي حديث نبوي يحث على عمل اليد: "ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده".

إنه ليس مصادفة أن يقول دولوز بأن سبينوزا هو الفيلسوف الأكثر نبلًا، وبحسب فريدريك لونوار إنه الفيلسوف الأكثر حكمة، فضلًا عن أن نيتشه اعتبره سلَفه الحقيقي.

الاستبداد كما رآه عبدالرحمن الكواكبي

لا أحدَ منْ روّاد فكرِ النّهضةِ شخّص العلّة العربيَّة الرَّئيسيَّة بالدّقة والتَّحديد التي شخصّها بهما عبدالرَّحمن الكواكبي. حقًا إنَّ في أفكار مجايليه وسابقيه ولاحقيه منْ هؤلاء الرّواد إشاراتٍ إلى علّة الاستبداد، ولكنْ لمْ يبلغْ أحدٌ آخر سواه منهم ما بلغه هو منْ تحديدٍ لها، وعناية بتقصّيها وبحثٍ جذورِها وأسبابِها ومظاهرِها، لا بلْ وسبلِ مواجهتها، للدّرجة التي جعلته يضعُ عنها كتابًا، لنْ يكون بالإمكانِ الكتابةُ عنْ فكرِ الطُّغيان في التّاريخ وفي الرّاهن العربيين دونَ العودةِ إليه.

د. حسن مدن

والوقوف أمامَ فكرةِ الاستبدادِ بالذّات أمرٌ لا مناصَ منه، ليس بوصفها الفكرةَ المحوريةَ في ما خلَّفه الرَّجلُ، وإنَّما أيضًا لأنَّ الاستبدادَ علَّةُ العلل، وهو – أيْ الاستبداد – في حياتنا العربيَّة الرّاهنة مسألةٌ حيويَّةٌ حاضرةٌ كما كانتْ في زمن الكواكبيّ قبلَ أكثرَ منْ قرن، بلْ لعلّها أكثر حضورًا منْ يومذاك. وهذا يحيلُنا إلى التَّأكيد على صواب الفكرة المُتداولة منْ أنَّ أسئلةَ فكرِ النَّهضة العربيَّة الأساسيَّة مازالتْ معلقةً دونَ إجابةٍ أو حلٍّ، بلْ إنَّ واقعَ حياتِنا اليومَ هو إلى تردٍّ مضطردٍ إذا ما قيسَ الحالُ بالزَّمنِ الذي كانَ فيه فكرُ النَّهضة يقارعُ بحججِه القويَّةِ وبراهينِه عوامل الجمود والتَّحجُّر والتَّخلُّف.

يقولُ عبدالرَّحمن الكواكبيّ "إنَّ الاستبدادَ – لغةً – هو غرورُ المرء برأيه والأنفة منْ قبل النَّصيحة أو الاستقلال في الرَّأي وفي الحقوق المشتركة». وبهذا التَّعريف فإنَّ الكواكبيَّ لا يشخِّصُ الاستبدادَ بوصفه ظاهرةً سياسيَّةً فحسبْ، وإنَّما بوصفه ظاهرةً عامَّةً واسعةً تغطّي مساحةً بمساحة المجتمع كلّه، ناهيكَ عن الفكرِ نفسه بوصفه الفضاءَ الأوسعَ والأكثرَ تعقيدًا في الآن ذاته لتجلّي القناعات. لكنَّ مركزَ الثِّقل في تصدّي الكواكبيّ للاستبدادِ يبقى في دائرة السّياسة، ليسَ جريًا وراءَ تحديدٍ جزئيٍّ قاصرٍ وإنَّما لإدراكٍ منه بأنَّ الاستبدادَ السّياسيَّ هو الأشدُّ ضررًا، والأكثرُ تأثيرًا على العامّة.

«المستبدُّ – يقولُ الكواكبيُّ – يتحكَّمُ في شؤون النّاس بإرادته لا بإرادتهم، ويحاكمُهم بهواه لا بشريعتهم. ويعلمُ منْ نفسه أنَّه الغاصبُ المُتعدّي فيضعُ كعبُ رجله على أفواه الملايين من النّاس يسدُّها عن النُّطق بالحقِّ والتَّداعي لمطالبته». والمستبدُّ أيضًا "يتجاوزُ الحدَّ لأنَّه لا يرى حاجزًا، فلو رأى الظّالم على جنبِ المظلوم سيفًا لما أقدمَ على الظُّلم».

ولأنَّ المستبدَّ إنسانٌ "والإنسَانُ أكثرُ ما يألفُ الغنمَ والكلابَ، فالمستبدُّ يودُّ أنْ تكونَ رعيَّتُه كالغنم ذرّا وطاعةً، وكالكلاب تعالياً وتملُّقًا». لكنَّ الاستبدادَ السِّياسيَّ، أو استبدادَ الحكّام كما يسميّه، يردُ في سياق تصنيف رباعيٍّ لأنواع الاستبداد تأتي عنده بالتّوالي التّالي: استبدادُ الأصلاء، استبدادُ المتعمِّمين، استبدادُ الأثرياء، استبدادُ الحكّام، ويفرِّقُ الكواكبيّ بينَ هذا النّوع الأخير من الاستبداد الذي هو الأخطرُ في رأيه، وبينَ الأنواع الثّلاثة الأخرى، فتلكَ الأنواعُ يعدُّها استبدادًا مجازيًا، أو أنَّها وُصفت بالاستبداد مع الإضافة، أمّا إذا جاءَ لفظ الاستبداد بغير إضافة فإنّه يُفهمُ على أنّه استبدادٌ سياسيٌّ، و»يُرادُ بالاستبداد عند إطلاقه استبدادَ الحكوماتِ الخاصّة، لأنَّها أعظمُ مظاهره أضرارًا التي جعلت

إنَّ واقعَ حياتنا اليومَ هو إلى تردٍّ مضطردٍ إذا ما قيس الحالُ بالزَّمنِ الذي كانَ فيه فكرُ النَّهضة يقارعُ بحججه القويَّة وبراهينه عواملَ الجمودِ والتَّحجُّرِ والتَّخلُّف

الإنسانَ أشقى ذوي الحياة.

ولا يقاربُ الكواكبيُّ موضوعةَ الاستبداد السّياسيِّ بمعزلٍ عن أزمة السِّياسة، أو أزمة نظام الحكم عندَ المسلمين؛ لأنَّ "سببَ الفتور – كما يقولُ – هو تحوُّلُ نوعِ السّياسة الإسلاميّة" والتّحولُ المقصودُ هنا هو اتّجاهُ الاستبداد حيثُ تمخّض عندي – والكلامُ له – أنَّ أصلَ الدّاء هو الاستبدادُ السّياسيُّ».

ومنْ أكثرِ الإشاراتِ إشراقًا عند الكواكبيّ هو ذلك التّفريقُ

النّابهُ بين الاستبدادين الشّرقيِّ والغربيِّ، حيثُ لاحظَ أنَّ المُستبدين الغربيين لا يمنعون العلمَ إجمالًا، وإنّما يحرصون على عدم إدراك النّاس أنَّ الحريةَ أفضلَ من الحياةِ، فهم يحَاربون تعليمَ النّاسِ حقوقَهم حتّى لا ينْقلبوا على ملوكهم مطالبين بها، لكنَّ المستبدّين الشَّرقيين يحاربون العلمَ جُملةً وتفصيلًا "كأنَّ العلمَ نارٌ وأجسامَهم بارودٌ». ويضيفُ إنَّ "الاستبدادَ الغربيَّ وإنْ كانَ طويلَ الأمد إلا أنَّه يتَّصفُ باللِّين، أمّا الشَّرقيُّ فإنَّه سريعُ الزَّوال، لكنَّه أكثرُ إزعاجًا وأشَدُّ وطأةً على الرَّعية، وهو إذا زَالَ يخلِّفُه استبدادٌ أشدُّ وبالًا وأقوى سطوةً وتعسُّفًا».

ولسْنا هنا في مقام البرهنة على صواب ما يذهبُ إليه الكواكبيُّ، تكفينا نَظرةٌ إلى فظاعةِ الاستبدادِ الذي جاءتْ به الثّوراتُ والانقلاباتُ التي أُنشئتْ على أنقاض المَلكيات جمهورياتٌ مستبدَّةٌ فاقتْ في استبدادها بما لا يُقاسُ ما عرفَه النّاسُ منْ عسفِ الحكوماتِ التي أطاحتْ بها، وجعلت النّاسَ تترحَّمُ على الماضي – رغم مساوئه – بلْ إنَّ هذه "الجمهوريات" خنقتْ وصادرتْ البُرهةَ الليبراليَّةَ العربيَّةَ التي كانَ يمكنُ لها في ملابساتٍ تاريخيَّةٍ أخرى أنْ تتطوَّرَ إلى نظامٍ سياسيٍّ برلمانيٍّ تعدُّديٍّ. والكواكبيُّ الذي درسَ الاستبدادَ متخذًا منْ سلوكِ الأتراكِ تجاهَ العربِ قاعدةً للبحثِ والمعاينةِ لمْ يقدْ له أنْ يرى حجمَ الاستبدادِ الذي جلبَه العربُ للعربِ في عقودٍ لاحقةٍ.

وقبلَ أعـوامٍ كتبتُ في صحيفة (الأيـام) مقالًا على حلقتين ينطلقُ من الفكرةِ أعلاه بعنوان: "هلْ نستبدلُ الاستبدادَ بآخرَ"، انطلقتُ فيه من الخشيةِ التي تتزايدُ في أوساطٍ سياسيَّةٍ وفكريَّةٍ في البلدانِ العربيَّةِ من أنْ يؤدّيَ سقوطُ الاستبدادِ في بعضِ البلدانِ العربيّةِ التي شملتْها موجةُ التَّغييراتِ التي شهدناها إلى نشوءِ استبدادٍ جديدٍ تُمثِّلُه مخرجاتُ الانتخاباتِ التي جرتْ وستجري في هذهِ البلدانِ، وهي خشيةٌ لا يصحُّ الاستخفافُ بها لأسبابٍ عدَّةٍ.

منْ بينِ هذه الأسبابِ هشاشةُ التَّقاليدِ الدّيمقراطيَّةِ في البلدانِ العربيَّةِ عامَّةً، بما فيها تلك البلدانِ التي كانتْ أكثرَ قابليَّةً وجاهزيَّةً للتَّغيير، بعدَ عقودٍ طويلةٍ منْ سطوةِ الاستبدادِ التي اقتلعتْ أيَّ غرسةٍ تكادُ تنموَ للدّيمقراطيَّةِ، بلْ إنَّ هذا الاستبدادَ نفسَه قامَ على وأدِ بواكيرِ التَّحوُّلاتِ نحوَ الدّيمقراطيَّةِ بين مطالعِ ومنتصفِ القرنِ العشرين.

ومنْ هذه الأسبابِ غيابُ أو ضعفُ الحاملِ الاجتماعيِّ والسّياسيِّ للديمقراطيَّةِ، فالقوى التي حملتْها وستحملُها الانتخاباتُ في البلدانِ العربيَّةِ قادمةٌ منْ منابتَ غيرِ ديمقراطيَّةٍ، ولمْ يُعرفْ عنها – فيما سبقَ – انفتاحُها على الأفكارِ الأخرى، بلْ إنَّها في بُنيتها الفكريَّةِ والسِّياسيَّةِ تحملُ ميولًا إقصائيَّةً واستحواذيَّةً، رأينا تجلياتٍ كثيرةً لها.

لا بدَّ هنا منْ استدراكين: الأوَّلُ ينطلقُ منْ بعضِ المعطياتِ أو الإرهاصاتِ التي يمكنُ القولُ إنَّها ما تزالُ جنينيَّةً عنْ توجُّهاتِ بعضِ هذه القوى للتَّغلُّبِ على بُنيتها المُغلقةِ، والانفتاحِ على الممارسةِ الدّيمقراطيَّةِ، منْ حيثُ هي في الجوهرِ قبولٌ للآخر، ولكنْ لأنَّها إرهاصاتٌ جنينيَّةٌ فلا بدَّ منَ الانتظارِ لاختبارِ مدى جدِّيَّتها وقابليَّتها للنّموِّ والبقاءِ، وهذا يتطلَّبُ وقتًا قدْ يطولُ.

أمّا الاستدراكُ الثّاني فيتلخَّصُ في أنَّه لا يجوزُ أنْ نوافقَ على استمرارِ الاستبدادِ القائمِ وتعطيلِ نموِّ الحياةِ السّياسيَّةِ بكسرِ حالةِ الجمودِ وتخثُّرِ الدِّماءِ في عروقِ النِّظامِ السِّياسيِّ العربيِّ بحجَّةِ الخوفِ من البديلِ المحتملِ الذي قدْ لا يكونُ بالضَّرورةِ أفضلَ منَ القائمِ.

الثَّقافةُ الدّيمقراطيَّةُ في أيِّ مجتمعٍ لا تنفصلُ عن الممارسةِ الدّيمقراطيَّةِ، وإذا كانت الأفكارُ تُمهِّدُ للتَّحولاتِ، فإنَّ التَّحوُّلاتِ هي التي ترسِّخُ الأفكارَ وتوطِّدُ دعائمَها وتجعلُ منها نمطًا منَ الوعي والعيشِ، وبالتّالي فإنَّنا لا نتوقَّعُ أنْ تشيعَ الثَّقافةُ الدّيمقراطيَّةُ في مجتمعٍ يهابُ الممارسةَ الدّيمقراطيَّةَ ويخشى ما ينجمُ عنها منْ مَفاعيل.

أنظمةُ الاستبدادِ في الشَّرقِ – وعالمُنا العربيُّ جزءٌ من هذا الشَّرقِ – روَّجتْ – وما تزالُ – أنَّ شعوبَنا غيرُ جديرةٍ بالدّيمقراطيَّةِ، لأنَّها ليستْ ناضجةً لها، فهي تتطلَّبُ وعيًا وثقافةً وتعليمًا، ولكنَّ هذه حجَّةُ العاجزِ أو الخائفِ من ولوجِ الممارسةِ الدّيمقراطيَّةِ؛ لأنَّه يجدُّ فيها تهديدًا لمصالحِه في الانفرادِ بالسُّلطةِ والثَّروةِ، فيما الدّيمقراطيَّةُ تتطلَّبُ المشاركةَ والتَّقاسمَ في الأمرين.

الثَّقافةُ الدّيمقراطيَّةُ تفترضُ الممارسةَ الدّيمقراطيَّةَ التي منْ خلالِها نختبرُ قابلياتِ النّاسِ لأنْ يُحسنوا استخدامَ الدّيمقراطيَّةِ التي تتطوَّرُ تدريجيًا. والمجتمعاتُ كافَّةً – منْ خلالِ التَّدريبِ الدّيمقراطيِّ– تتدرَّبُ على إدراكِ أهميَّةِ الدّيمقراطيَّةِ وأهميَّةِ ما يقترنُ بها منْ مكتسباتٍ، وأهميَّةِ أنْ تصبحَ هذه الدّيمقراطيَّةُ ثقافةً وتعليمًا نتلقّاهما في كلِّ مفاصلِ الحياةِ، بما في ذلكَ في غرفِ البيوتِ وفي غرفِ الدِّراسةِ.

على أنَّ مظاهرَ الاستبدادِ وأنواعَه الرَّئيسيةَ على النَّحوِ الذي فصَّله الكواكبيُّ تَنبعثُ منْ جوهرٍ واحدٍ هو الاستبدادُ نفسُه، بوصفِه نظامًا شاملًا، يتجلّى في مظاهرَ عدَّةٍ، كلُّ مظهرٍ ينفتحُ على الآخرِ، ليصبحَ هذا الاستبدادُ أسلوبًا للحكمِ وأسلوبًا للعيشِ، وكانَ الكواكبيُّ يعي ذلكَ ويدركُه، وهو وإنْ قامَ بالتَّقسيمِ الذي عرضْنا له فإنَّما برغبةِ الإحاطةِ المعرفيَّةِ بأوجهِ الظّاهرةِ لا برغبةِ التَّفريقِ بينَ مظاهرِها، وإنَّما رؤيةُ ذلك التَّرابطِ الذي يشدُّها إلى المصدرِ نَفسِه، إلى الظّاهرةِ الأساسِ نفسِها.

وعبدُ الرَّحمنِ الكواكبيُّ الذي ماتَ منذُ أكثرَ منْ مئةِ سنةٍ هو معاصرُنا، كأنَّه لمْ يمتْ. إنَّ أطروحاتِه طازجةٌ، حيَّةٌ، متجدِّدةٌ فيها كلُّ وهجِ الحاضرِ وحرارةِ أسئلتِه. إنَّ هذه الأطروحاتِ تمسُّ عَصبَ كلِّ ما نفكِّرُ فيه اليومَ، ونحنُ نعيشُ زمنًا تبدو فيه المسألةُ الدّيمقراطيَّةُ أمَّ المسائلِ، وهي ذاتُها المسألةُ التي كانَ الكواكبيُّ يقاربُها بحُرقةٍ حينَ كانَ يَدْرُسُ الاستبدادَ ويشخِّصُه منْ موقعِ الانحيازِ العميقِ لمصالحِ الجمهرةِ الواسعةِ للنّاسِ. لذا ليسَ غريبًا – والحالُ كذلك – أنَّ أحدَ الألقابِ التي كانَ الكواكبيُّ يخلَعُها على نفسِه باعتزازٍ لقبُ: "أبو الضُّعفاء».

قاسم الحلال

ثورة أكتوبر الإشتراكية المجيدة

مرّ العام المائة على ثورة أكتوبر الاشتراكية المجيدة التي كانت ولاتزال حيّة رغم سقوط عملاقها (الاتحاد السوفياتي)، حيث بقى حزبها رافعاً رايته الحمراء التي تحمل شعار (المنجل والمطرقة)، شعار الطبقة العاملة مناضلاً بلا هوادة في كل ربوع روسيا، يناضل ضد الرجعية التي انتعشت بقيادة الإمبريالية العالمية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الإمريكية، في مواجهة الصمود الذي دحرت النازية العالمية بقيادة ألمانيا الهتلرية، حيث الحفاظ على المهرجانات والاحتفالات الوطنية والعمالية، الذي لايزال قائماً، عمالاً ومزارعين ومدرسين ومثقفين ، والحفاظ على زمام المراكز الوطنية، ذات المهام الحساسة.

ليس من السهل ان يترك شعب ثورة ذات منجزات عظمى، ثورة أعطت ثمرة وأساساً للنضال العالمي الأممـــي، فـثـورة أكتوبر الاشتراكية العظمى كانت أملاً للتغيير العالمي للشعوب، راسمة تفاؤلاً في ميزان القوى العالمي.

رغم تداعيات السقوط الذي خلق اهتزازات على جميع المستويات، كما خلق شكوكاً عند بعض المناصرين، لكن بثبات الأيديولوجية في ظروف كهذه أثناء العملية النضالية أصبحت عماداً للمفكرين والمثقفين والكوادر، وهذا أكدّ للقوى المناضلة التي تناضل بجهد في هذا الحين، بأن الرجعية لا تستطيع النصر، ولا تستطيع قيادة زمام الأمور.

لقد اعتقدت الكنائس أن دعم أمريكا نصراً لها، ولم تدرك أن هذا الدعم سيرتد عليهم خطراً يداهم كل الوطن بل يداهم اليوم كل شعوب العالم، حيث سيطرة قطب واحد (أمريكا) على العالم بإحكام، وذلك لنهب ثروات الشعوب، واذا كان ذلك يتمّ بالأمس بالخفاء وبحجج واهية، فإنه يتمّ اليوم بطريقة سافرة، ورسم المؤامرات مع شركائهم الذين كشروا عن أنيابهم هم أيضاً.

«حداثة ظهرها إلى الجدار»

ماراثون تاريخي بين مياه الخليج ورمال الجزيرة العربية

على مدى اكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير، دوّن الكاتب البحريني د. حسن مدن رحلة الثقافة والمثقفين في الخليج والجزيرة العربية خلال اكثر من قرن .. لقد وقفت بعد ان انتهيت من قراءة الكتاب، على جهد بحثي كبير بذله الكاتب وهو يتجول بين مراحل طويلة وثقيلة ايضا في بقعة من الارض كانت في مرحلة من الزمن تمثل بؤرة (ثقافية) توالدت منها اسئلة كبيرة، مازالت اثارها وتداعياتها ماثلة الى اليوم، ونقصد حقبة ما قبل الاسلام او التي ارهصت له ومن ثم ما بعد ظهوره في الحجاز وما حصل له اوبسببه في الميادين التي وصلها.

عبدالأمير المجر *

لقد أجاب الكتاب على الكثير من الاسئلة التي لابد من ان كثيرين كانوا يطرحونها بشكل او بآخر من دون ان يجدوا الاجابة الشافية عنها .. وخلاصتها؛ هو كيف تشكل الخليج والجزيرة العربية ثقافيا بالتوازي مع تشكلهما الحديث سياسيا واقتصاديا، اي اذا ما كان ظهور النفط في حياة شعب او شعوب تلك المنطقة قد نقلها اجتماعيا الى مستوياتها الحالية، فما دور الثقافة هناك وكيف كانت ارهاصاتها الاولى ومن ثم تطورها وهي تواكب تلك التحولات الجوهرية في حياة الناس، وكيف عبّرت عن ذلك او مدى تاثرها هي بالواقع الاقتصادي والاجتماعي الجديد؟

اربعة فصول احتواها الكتاب، ضم كل فصل موضوعات متعددة حيث يعود من خلالها الى تاريخ المنطقة القديم وتشكلها الثقافي ودور الاسلام في كسر عزلتها مع محيطها، والذي اسهم في اذكائها مناخها القاسي، ويتوقف عند مصادر عديدة تتناول تلك الحقبة وما سبقها او تلاها، اي بعد الإسلام، والجدل الثقافي الحديث بشأنها او بشأن توصيفها وصولا الى تأسيس (المملكة العربية السعودية) بوصفها اهم واكبر بلدان المنطقة، والمرجعية الثقافية التي وقفت وراء ظهورها كدولة موحدة على خلفية التحالف (السياسي – الثقافي) ممثلا بابن سعود والاخوان (الوهابيين) وانعكاس ذلك على واقع تلك البيئة التي اسهم الاستعمار الاوربي، البرتغالي والهولندي، ومن ثم البريطاني وحملات التبشير التي سبقته أو كانت من مقدماته الاستكشافية، في خلق واقع ثقافي جديد نسبيا، جاء كرد فعل على الحملات التبشيرية (المسيحية)، بوصفها فعل ثقافي وافد ومرفوض، قابله فعل ثقافي محلي مضاد او مقاوم له، وتمثل في نشاطات لاتنطوي على قيمة عالية لكنها اصبحت بمثابة القدحة وسط ظلام المنطقة التي ستعيش واقع ما بعد اكتشاف النفط وتكتشف معه ذاتها تدريجياً.

شخصيا، أرى أن البعثات التبشيرية هي عنوان لمهمة مخابراتية تهدف الى قراءة واقع المنطقة من قبل الاوربيين، تمهيدا لاستعمارها وقتذاك .. ولعل دور الجاسوس البريطاني الشهير مستر همفر في القرن السابع عشر وصولا الى لورنس العرب وعبدالله فيلبي، مطلع القرن العشرين، يؤكد هذه الحقيقة ..! في العموم اضاء الكاتب د. مدن الكثير من المناطق المعتمة

بالنسبة لي ولغيري من الذين يرغبون في معرفة التشكل الثقافي هناك في بداياته وتمازجه بالسياسي، الاشارة هنا للوهابية والحملات التبشيرية وغيرها حيث يفصّل وبرؤية المثقف المطّلع، معتمدا على مصادر دقيقة وظّفها بوعي وبما يجعل القارئ يعيش تفاصيل تلك الحقب وباسلوب شيّق يبتعد عن الاسهاب الممل: الاندية الثقافية والصحافة الاولى والرواد المؤسسين، يستعرضهم الكاتب، بنشاطاتهم واحلامهم الكبيرة ومكابداتهم ايضا، وهم ينحتون في الصخر ليؤسسوا لثقافة استلهمت الكثير من محيطها العربي ممثلا بأهم ثلاثة بلدان هي العراق ومصر وبلاد الشام، وكان هذا بداية فك العزلة الثقافية، مطلع القرن الماضي.

دور الهند وعلاقة منطقة الخليج بها، والنشاط التجاري معها وتواصلها هي ايضا مع تلك المنطقة، كان له دور في صيرورتها الثقافية، وكذلك دور الحركات السياسية والاحزاب التي تشكلت، ولعل البحرين هي الاهم والاكثر ريادة في هذا المجال، بسبب تنوعها الثقافي وتواصلها مع العراق اكثر من غيرها.

ويحضرني هنا ما ذكره الشاعر البحريني الكبير قاسم حداد، في لقائه على قناة العربية ضمن برنامج (روافد)، وكيف تعرف الى العراق صحبة اهله صغيرا بسبب زياراتهم العتبات المقدسة في النجف وكربلاء... ومن ثم يتطرق الى شخصيات مؤثرة في دول تلك المنطقة ويستعرض سير حياتهم الثقافية والانسانية، بوصفهم روادا مؤسسين وكيف تنافذوا مع محيطهم العربي، كلّ في مجاله .. بصراحة وجدت صعوبة في الحديث عن هذا الكتاب، كونه غني جدا، وان اي اختزال له قد يظلمه لما فيه من معلومات مهمة كثيرة يصعب تجاوز بعضها لحساب البعض الاخر، بمعنى انه من الصعب اختصاره أو تلخيصه.

الكتاب سيكون من المراجع المهمة للدارسين، لأنه تناول رحلة الثقافة هناك بمفهومها الشامل والواسع، حيث حضرت وبشكل مفصل المرجعيات السياسية (ليبرالية – دينية – يسارية – قومية .. الخ) وانعكاسها على حياة المجتمعات وتأثير المجتمعات في صنعها او افرازها الى جانب النشاطات الثقافية الادبية والفنية وكيف اسهم كل هذا في صناعة مجتمع وجد نفسه فجأة في قلب الاهتمام العالمي ووسط ثروة دفعت باتجاه تحولات مجتمعية راديكالية، وكذلك يتجول الكاتب بين مثابات ثقافية عربية كثيرة، زامنت حقبا مختلفة من حياة تلك المنطقة وتنافذت معها، بالاضافة الى التحولات الكبرى التي شهدها القرن الماضي واسقاطاتها المباشرة على تلك البقعة الحساسة من العالم.

الشيء الذي أجد من الضروري الاشارة اليه، هو قول الكاتب نفسه: "لماذا ظهر حداثتنا الى الجدار؟!، ويقصد حداثة الخليج والجزيرة العربية، حيث معالم المدنيّة التي أعطت المنطقة صورة مغايرة تماما لما كانت عليه قبل عقود قليلة، ولاشك أن السؤال الذي يأتي في الصفحات الأولى من الكتاب، تأتي الاجابة عنه في المتن، حيث يوضح سبب اختياره هذا العنوان، ويجيب كما لو انه يلخص مقولة كتابه: «إن التحديث في مجتمعاتنا الخليجية مازال يتكئ على جدران، اي على الجانب العمراني المظهري غير الخافي عن الأعين، وهذا الجدار نفسه يتحول، مع مرور الوقت، إلى صدّ بوجه تقدم الحداثة ....» ولكلامه بقية طبعاً.!

* كاتب من العراق

سأصبح ما أريد باللغة

سوسن حسن

لدي تجارب مسرحية فريدة، تختلف كل تجربة فيها عن الأخرى، وتتميز بما تقدمه لي من إثراء للذات. جميع هذه التجارب تشمل تدريس اللغة الفرنسية بطريقة أو بأخرى، الا ان طبيعة الممثلين الذين أتعامل معهم تختلف في كل وقت. أطلق هذا اللقب على طلابي، لأنني أشعر بأنني معلمة و مخرجة في آن، وبأن تلاميذي ممثلون ماهرون.

سبق أن تحدثت في مقال سابق عن تجربتي مع تدريس المهاجرين وعن الكم الهائل من الدروس التي قدموها لي. «لا أحد هنا يعرف من أنا»، كان أهمها. هي جملة كان يرددها المهاجرون عندما كنت أعمل منسقة لغوية في إحدى بلديات باريس. وقع هذه الجملة كان كبيراً عليّ ، فقرر ضميري المتعاطف مع كل انسان يجد اللغة عائقاً أمام الوصول إلى أهدافه أن أساعده في تعلمها، أن أجد له الجمعية المناسبة ذات الخدمة المجانية، وأن أسجله فيها من أجل أن يبدأ مشواره في تعلم اللغة واتقانها حتى يغتني لسانه بالكلام ويعرف الجميع من هو وماذا يفعل في فرنسا، وإلى ماذا يطمح.

عندما انتهت مهمتي في فرنسا ورجعت إلى البحرين، حاولتُ العثور على مهنة في مؤسسة بحرينية ولكن لم يحالفني الحظ،، أو أن القدر لم يريد أن يبعدني عن العمل مع الفرنسيين، فوظفني للمرة الرابعة على التوالي في مؤسسة فرنسية، المدرسة الفرنسية في البحرين. لم أكن أتوقع أن تكون تجربة العمل في هذه المدرسة أحلى تجربة. في كل يوم عمل أجد مغامرة تعليمية جديدة، أعلم الأطفال القراءة والكتابة ومهارات التحدث والحساب في الرياضيات ويعلموني الحب، يعلموني ما لم يستطيع الكبار تعليمي إياه: الاستمتاع بكل نشاط نفعله لأقصى حد، الاهتمام بالآخر، خصوصاً إن مرض أحد زملائهم وتغّيب عن الحضور، حب العمل بشغف، الصدق، الأمانة، ابداء الآخرين على النفس، ودروس كثيرة لن تكفي هذه الصفحة لملئها.

يطلق على صفي مسمى: "صف العبور"، وجاءت فكرة تأسيسه هذه السنة من قبل إدارة المدرسة لرغبتهم في استقطاب أكبر عدد ممكن من الطلاب. يهدف الصف إلى استضافة الطلاب المستجدين وتعليمهم اللغة الفرنسية حتى يتمكنوا من الإلتحاق بالصفوف ودراسة كافة المواد العلمية والأدبية بهذه اللغة. بحكم وجودنا في مدرسة فرنسية، يحتم على الجميع إتقان هذه اللغة لأنها لغة الدراسة، ومن لا يتقن هذه اللغة قد يتعثر ويواجه الكثير من الصعوبات، ويواجه البعض منهم رفضاً نفسياً لتعلم لغة قد لا تضاهي في الأهمية اللغة الإنجليزية في البحرين.

يرتاد صفي طلاب المرحلة الابتدائية، وافتتحت الصف بستة طلاب من الصف الأول، أو ما يطلق عليه الفرنسيون لقب "الصف التأسيسي". قد يظن المرء بأنه من السهل تدريس أطفال هذه المرحلة، ولكنه من أصعب التحديّات التي أخوضها، فهي المرحلة التي يتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة والحساب، ولكنها أيضاً المرحلة التي يكتسب فيها مهارات الحياة الدراسية وكيفية التعامل مع من حوله من معلمين وزملاء. ظننت بأنني وحيدة في هذه المهمة ولكنني وجدت في الستة طلاب الذين أدرسهم حساً عالياً بالمسؤولية والإهتمام. أتوا الى صفي وهم لا يتحدثون الفرنسية ومضى على تعارفنا ثلاثة شهور، ما زالوا يتعلمون اللغة، ومازلت أتعلم منهم كيف يصبح المرء معلما وتربوياً في آن، ما يثير اعجابي هو تعلقي السريع بهم، كالأم التي لا تستطيع الابتعاد فترة طويلة عن أبنائها. أنا لست أماً وما زلت في مقتبل العمر، و لكنني أشعر بأنني أهتم بطلابي بقدر لا يستهان به من اهتمام الأم بطفلها. مع جود ودانيلا وإيمان وكريستيان وسليمة. لا أريد للعمل أن ينتهي وبمجرد أن ينتهي اليوم أتمنى أنه لو لم ينته، أشتاق لهم بسرعة مدهشة وأتوق لرؤيتهم في الغد. هناك شيء من الحب يهديه الطفل لمعلمه، ليجعله أكثر إنتاجية. قد لا أحصل على قسط كاف من النوم بسبب طبيعة عملي، وأستيقظ مع رغبة شديدة في النوم ساعات أكثر، و لكنني بمجرد رؤيتي لهم في الصف، أسترجع نشاطي مرة أخرى، لكثر مرحهم وحيوتهم، ورغبتهم الشديدة في التعلم.

جود، أحد أطفال صفي الذي كان يعيش في كندا وجاء إلى البحرين هذا العام سألني يوماً: " لماذا علي أن أتعلم اللغة الفرنسية، والكل يتحدث الانجليزية في البحرين؟ أجبت عليه قائلة: "أنت في المدرسة الفرنسية الآن والكل هنا يتحدث الفرنسية"، فأجابني قائلاً: «سأتعلم هذه اللغة بسرعة إذاً، وسأصبح أفضل من طلاب صفي». لا شك لديّ في أن جود سيصبح من الأوائل، فإرادته قوية و ذكائه أكثر من مذهل.

سليمة طفلة تونسية، قدمت إلى المدرسة في وقت كانت قد بدأت فيه الدراسة وفاتها بعض الدروس. كانت مثل الذي يقول «أنا جديدة في هذه المدرسة ولا أحد هنا يعرف من أنا». كانت في صف مليء بالأطفال الذين يتحدثون الفرنسية وقد مضوا شوطاً في تعليمهم، كانت تحتاج إلى المساعدة كي تتحدث ويصبح الكل يعرف من هي ومدى حبها لمساعدة الغير، فكنت بمثابة جسر العبور بالنسبة لها، المعلم الذي يجيد التحدث بثلاث لغات، وسيساعدها على التنقل بين العربية والفرنسية. اليوم سليمة تجيب على أسئلة مدير المدرسة باللغة الفرنسية بسهولة عندما يسألها عن اللغات التي تتحدثها، فتجاوب: أتحدث اللغة العربية واللغة الفرنسية. "Je parle français et arabe".

إيمان، طالبتي البحرينية المتميزة تحب الجميع ، وترسم ابتسامة على وجوه جميع زملائها بما فيهم معلمتها. تحب القراءة وتحاول جاهدة اتقانها بالفرنسية. لا تحب أن أساعدها على تهجي الحروف، فهي تفضل المحاولة وحدها وانتظار تصحيحي لاحقاً. عندما يمرض أحد زملائها ويتغيب عن الحضور ترسم قلوبا من الحب وتهديها اياه لدى عودته إلى المدرسة.

دانيلا تحب التعلم في جو مرح وتتفاعل بشكل كبير مع الأغنية الفرنسية. هي ممثلة بارعة وتوظف هذه الموهبة في تعلم اللغة. أحب صراحتها عندما لا يعجبها التمرين المطلوب وأعرف حينها أن عليّ أن أجعل تماريني أكثر متعة لتبقى الرغبة في التعلم لديها مشتعلة. أعتبر دانيلا مقياس لجودة ما أفعل كل يوم مع الأطفال وأستشيرها في كثير من الأمور. عقل هذه الفتاة أكبر من سنها بكثير.

كرسيتيان طالبي الأصغر سناً. ذكائه في الرياضيات يبهرني. يفهم الإجابة على كثير من الأسئلة من دون الحاجة لمساعدة معلم ، ويحب مساعدة زملائه في حل المشاكل الرياضية. أبتسم على غضبه عندما يخطئ في الحل وأطلب منه تصحيح الخطأ. يستاء دقيقة ويأخذ القلم في يده للتصحيح وإكمال التمرين. قلبي يشع بالفرح عندما يخبرني كل صباح بأنني جميلة أو بأن تسريحة شعري أو ثيابي حازت على إعجابه.

عمر، طالبي ذا الطبع الحاد والحنون في آن. سريع الغضب وسريع الحب. يتكلم الفرنسية بشيء قريب من الطلاقة، و لكنه يواجه بعض المشاكل في القراءة و الكتابة. أحرز تقدماً ملحوظاً في الثلاثة الشهور الماضية. يحب أن يطل عليّ كل صباح بعبارة: "أحبك معلمة" ، ويحب في نهاية اليوم أن يساعدني على ترتيب الصف قبل الخروج من المدرسة. أعتمد عليه كثيراً ، ومتأكدة من أنه سيصبح شاباً ذا حس عال بالمسؤولية.

هؤلاء هم طلابي الذين أُريد تعريف الجميع عليهم ، هم طلابي الذين سيصبحون يوماً ما يريدون، والذين أتمنى أن أبقى على صلة بهم حتى يكبروا ويكتسبوا علماً أكبر من الذي اكتسبته ونقلته لهم.

تعويذة جلب زهوان

زهراء المنصور

لا أملك أن أتكلم
وأنا أنصحكم أن تلتزموا مثلي
بالصمت المحكم
الراوي

تتهيأ لركوب قطار في منتصف ليل تظنه ساكتاً، جنباً إلى جنب مع ركاب آخرين، ليس بالضرورة أن تعرفهم، غالباً ستراهم مرة وحيدة في الحياة، وحتى لو شاهدتهم ثانية، فليس من الضروري أن تذكر وجوههم أو أسماءهم لو عرفتها صدفة أثناء حديث عابر.

لكن، حين تقابل عبده عبد الله عبدون أبو عابد، التي خلقها الكاتب صلاح عبد الصبور في نصه المسرحي «مسافر ليل»، لا يليق أن تنسى هذه الشخصية التي قد تشكل ملمحاً منك أو كلك! فكيف لو شاهدتها مجسدة على «خشبة» قطار صنع لهذا النص، فأنتج عرضاً قريباً بالمسافة من المشاهد، حدّ التلامس، وحدّ مشاهدة تعابير الممثلين التي شكلت جزءاً كبيراً من فهم العرض؟(1)

تتشارك مغامرة هذا العرض شخصيتان تسكبان الحدث؛ الراكب وعامل التذاكر. لكن من أجل فهم معمق أكثر، وضع النص شخصية الراوي –الأكثر من عليم– الذي كتب عبد الصبور أن وجهه "ممسوح بالسَّكينة الفاترة، صوته معدني، مبطن باللامبالاة الذكية"!(2) والقادر على إدماج الجمهور الحاضر إلى عمق الحكاية، ومدّه بالتفاصيل التي يبني عليها تطور الحدث عند الشخصيتين.

وعبده هو "نموذج للإنسان بلا أبعاد"؛ شكل يمكن أن تلقاه كثيراً في حياتك اليومية، دون أي توصيف يحيل إلى تصور محدد. لكن من حظ العرض أن يستلم الدور ممثل قادر على لعب الشخصية، مواصفاته الجسمانية بضآلة جسمه، وملامحه المألوفة كملامح عامة دون علامة مميزة، بالإضافة إلى قدرة هائلة على التعبير عن هذا "العبد" –بتجرد عن المعنى الديني– من سلالة عبيد خانعين لأي قوي يصطدمون به، حتى لو كان صدفة. لذلك، عندما يبدأ عبده في تسلية نفسه لتزجية الوقت في الليل الطويل للسفر، يخرج من جيبه محفظة جلد الغزال التي يكتب بداخلها التاريخ في عشرة أسطر وأسماء يرددها: الإسكندر/ هانيبال/ تيمورلنك/ هتلر/ وأسماء أخرى على نفس الوزن، ليست بالضرورة ذات دلالة، وكلها أسماء تسببت في مقتل مئات الآلاف من البشر، وأنهكت وأهلكت أنفساً كثيرة لا نعرف أسماءهم ولا عوائلهم، لأنهم غير مذكورين، وكل الانتصارات تنسب للقادة الذين دفعوا بحياة الآخرين ونجوا بحياتهم، بغض النظر عن كيفية كتابة التاريخ لهذا "المنجز"! ولمَ يقوم شخص، مثل عبده، بكتابة هذه الأسماء وعلى محفظة جلدية، وليَست ورقة مثلاً قابلة للتلف؟! كإشارة للاحتفاظ بها لمدة طويلة، وترديديها في سبيل الحفظ والتسميع لنفسه!

ولأنه يردد الإسكندر مراراً، بما يشبه تعويذة جلب سحرية، يأتي إليه الإسكندر في هيئة عامل التذاكر من آخر القطار/ الخشبة/ منصة العرض، ومن بين الجمهور الذي يتفاجأ بدخوله المباغت ملبياً بصوت جهوري خشن، وواثق، لنداء الراكب الذي استدعاه وتورط بما فعله. وحتى بعد تيقنه أنه شخصية الإسكندر، هل حاول العبد التعامل بشكل مختلف عن هذه الشخصية في حياتها السابقة؟ أبداً، بل عرض عليه أن يكون سرجاً لجواده، أو فرشة لنعاله(3) وغيرهما من الأمكنة الذليلة، وبلا مبرر واضح، ولا تفاوض حول الاختيارات الأخرى أو السؤال لم قد يفعل هذا به أصلا!

بشرط ألا يقتله! وما الحياة التي تتشبث بها ويستهويك عيشها أيها الراكب بلا كرامة؟ ويخالف هذا ما يميل إليه الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه "سيكولوجية الجماهير"، الذي يرى فيه أن الفرد يتحرك بشكل واعٍ، أما الجمهور فيتحرك بشكل لا واعٍ، لأنه محكوم بسياسة القطيع الذي يحركَ بيد أي أحد قادر على القيادة. وعبده يتحرك بفكر الجماعة التي تتوخى الحذر، وتتوقع السلامة، وليس بوعي الفرد المجازف الجريء الذي يسأل: وماذا لو قلت لا؟

وهذا الإسكندر يتحول إلى شخصيات أخرى يستبدلها إلى زهوان، وعلوان، وعشري السترة، طوال العرض، متزامناً هذا مع تبدل الشخصية "المستبدة"، وليس شيئاً آخر؛ السلطة تتغير، ويظل الضعيف كما هو مكانه، وكل من يأتي بعده، كل شخصية/ سترة تكشف عن سلطة جديدة/ ديكتاتور معروف أو مستجد؛ في السياسة، الدين، أو في المجتمع، حيث يتسلط الكل على الكل حسب التراتبية المحفوظة، المهم أنه يجد ضالته في راكب مغلوب على أمره بالفطرة، لا يتوانى عن إفراغ كل شهوة السلطة عليه. وهكذا يفعل مفتش التذاكر؛ الذي يبدأ أولاً بالتهام تذكرة الراكب، علامة حق تواجده على القطار، ومن ثم بطاقته الشخصية تباعاً، وهي التعريف بهويته في الحياة،

ويصفه بأن "ألذ طعام للإنسان هو الأوراق.. وأشهى ما في الأوراق هو التاريخ؛ نأكله كل مكان وزمان، ثم نعيد كتابته في أوراق أخرى!"(4). وهذا الأكل، سواء كان فعلياً أم اعتبارياً، هو أكل حق وكرامة وكينونة شخص آخر؛ وبالتالي أصبح في عداد العدم.

وتتدرج الأحداث في حوارات ممزوجة بين الرمز والعبث والواقعية، حتى تصل تهمة الراكب إلى قتل الله، وسرقة بطاقته الشخصية، وصار المسوغ للقتل جاهزاً لا يحتمل التأجيل، وصار أيضاً على المفتش، أو الإسكندر، أو زهوان، أو عشري السترة، أو كلهم مجتمعين، محاكمة الراكب على هذا الفعل الشنيع، على سبيل تنفيذ العدالة. فما المتوقع من الراكب المسالم غير الاستسلام المستفز، وعدم المقاومة لهذا الموت العبثي؟ لتعاد الكرة مرة أخرى لراكب آخر قادم، وحقيبة شخصيات مستبدة لديها متسع أن تشمل برعايتها قتلى آخرين يزهو بهم تاريخها السابق.

الأداء كان سيد العناصر المسرحية في هذا العرض من الشخصيات الثلاثة حسب ترتيب الظهور: الراوي/ الراكب/ مفتش التذاكر. كل دور مدروس له ممثل مجتهد أظهره باستفاضة وفهم عاليين كما يجب. علاء قوقة: المفتش الذي منذ دخوله الأول في استجابته للراكب لم يحِد عن الخشونة والتعامل الحاد، حركة جسده وإيماءات وجهه، حتى في لحظات الصمت القليلة، كلها تصب في الأداء الذي يجيده، وهو الفنان القدير، والأستاذ الأكاديمي المتمكن، وهو لا يعري سيكولوجية البشر في الشر والبطش، لأنه ببساطة دخل بهذه الصفات بشكل صريح، وهذا النموذج موجود في الحياة بوفرة –كما نموذج الراكب والراوي–. ورغم الشخصية السلطوية البشعة في جميع أبعادها، وطول إقامة الحدث، إلا أن المتلقي يميل للتفاعل معه على الراكب!

يقيناً هي حالة غير سوية، وقد تقترب من متلازمة "ستوكهولم". لكن عند التمعن في الفعل، سيشهد المتفرج طرفي صراع غير متكافئين: مفتش التذاكر القوي جداً، والراكب المستسلم جداً، الذي يحمل شعاراً دائم الاستعمال: "الأيام غريبة.. والأوفق أن نلتزم الحيطة"(5). لذا فهو يستبق السوء في كل الأحوال، ويتوقعه، وسيرضى به حتماً! تائه، محير، لا يتمسك بشيء، حتى حقيبته التي فقدها في لحظة عدم اتزان خارج القطار، لم يأبه بها كثيراً، وواصل تفكيره في كيفية تزجية الوقت كما يشرح الراوي، وهذا يعني أنها صفات أصيلة فيه، وضعفه لا يعود لوجود شخص أقوى منه، بل هو مدعاة للتسلط، ولو لم يكن المفتش، لكان أي أحد غيره.

ولا يخرج الراوي من دائرة أنه نموذج المنظرين والشارحين الذين يتحدثون طوال الوقت، لكنهم مهما تحدثوا وصدقوا في وصفهم، سيكونون في صف المتفرجين مكممي الأفواه، وهذا ليس اجتهاداً في القراءة بقدر ما هو لمحة تأملية في تصميم البوستر الدعائي للمسرحية؛ الراوي بشريط لاصق على الفم/ عشري السترة بملامح ديكتاتوري صاخب، له أكثر من وجه ينشق من وجهه/ الراكب الذي أشبع تحليلاً في السطور السابقة علامة الاستسلام والخنوع، وما أفصح عنه البوستر من علامات واضحة، كان ينقصه أنه يلصق في مرآة تظهر صورة كل فرد من الجمهور أتي لمشاهدة العرض.. فلِمَ؟

ذلك أنه جانب شديد الحساسية والذكاء في أن العرض قد أوقع جمهوره الحاضر في فخ الشراكة. تصميم الديكور المسرحي في العروض السابقة الكثيرة التي نفذت نص "مسافر ليل"، منذ وقت تأليفه في 1968، وقدمت على العلبة الإيطالية، وأيضاً في فضاءات مغايرة كما هنا، هي الأنسب لها، حيث اختيار المكان على شكل قطار له دلالاته التي لا تفوت نبيهاً: القطار لا يتوقف بناء على رغبة أحد/ يحمل كل الناس بلا تفرقة/ المتحكم الحقيقي فيه غير ظاهر/ والمتحكم الحقيقي هو عشري السترة، ماسك زمام الأمور، مشيع القهر والظلم بالمنطق والحيلة التي لا يخفيها عن المتلقي، كما أشار لها المفكر الكواكبي في "طبائعه الاستبدادية"؛ بأن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة! ولكنها تفرض على عبده الراكب –وأمثاله– المبتلى بتحديث الاتهامات والقوانين ضده.

وترتيب الجمهور على مقاعد المتفرجين/ المسافرين في هذه الحياة التي تمثلها هذه الرحلة، لا تفصل بين اللعبة المسرحية المتوقعة والجمهور مسافة أبداً، لأنهم في قلب الحدث تماماً؛ مندمجون، مستمتعون، ضاحكون مع الكوميديا السوداء. لكن بعد انتهاء العرض، سيدرك الحاضرون أنهم كانوا مشاركين، مستلبين كما الراكب، يتفرجون دون أن يكون لهم حق الاعتراض أو رفع الظلم عنه.. تماماً كما في الواقع! وربما سيكونون هم في دور المسافر –أي مسافر– وفي الليل –أي ليل– بدون التعريف، وتنتهي حياتهم ببساطة مخيفة.. لا يرغب فيها أحد، فيضطرون لتفعيل قانون عبده: الأيام غريبة.. والأوفق أن نلتزم الحيطة.

الهوامش:

عرض "مسافر ليل" قدم في فضاء مسرح الهناجر بدار الأوبرا المصرية، من تأليف: صلاح عبدالصبور، وإخراج: محمود فؤاد صدقي، وتمثيل: علاء قوقة/ حمدي عباس/ جهاد أبو العينين.

مسرح صلاح عبدالصبور (المجلد الثاني)، دار العودة، بيروت، ص 617.

المرجع السابق، ص 629.

المرجع السابق، ص ص 646.

المرجع السابق، ص 628.

القلعة الزّجاجيّة

لا أحد يختار أبويه، إنّه القدر أو الصدفة المحضة، أو أي شيء آخر تعجزون عن وصفه وإيجاد تفسير له. تأتي إلى الحياة فتفاجئك الأيام على مدى حياتك كاملة بأمور لا تفهم لماذا تحدث.

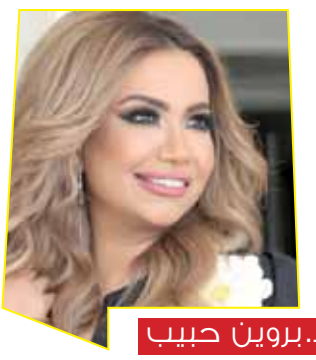

د.بروين حبيب

هذا ما حدث لفتاة أمريكية إسمها جانيت، ولدت لأبوين بوهميين، يعيشان حياة غريبة متنقلين بين أماكن عدة دون استقرار (حوالي عشرين مكانا مختلفا). ولم تكن وحيدتهما، بل كان لها أخ براين وأختين لوري وموورين.

تشرّد الأطفال الأربعة مع والديهما، أب حالم ومدمن على الكحول وأم ترسم لوحات غير ذات قيمة، ومع هذا حين جمعت جانيت أطراف علاقتها بوالدها تحديدا وأعادت بناءها في شكل رواية سيرية، اكتشفت محاسن الأب الذي شكّل شخصيتها ككاتبة. إنها جانيت وولز، صاحبة كتاب «القلعة الزجاجية» الصادر في 2005 والذي باع أكثر من أربعة ملايين نسخة وترجم لأكثر من ثلاثين لغة، نال أكثر من جائزة، ونقله إلى السينما داستن دانيال كريتون العام 2017.

نشأت الطفلة جانيت على حياة مليئة بالشعر والأحلام والجوع والعوز والفقر، تشوّه جزء من جسدها بسبب حريق تعرّضت له وهي في الثالثة من عمرها حين اضطرّت لتحضير وجبتها بنفسها، وذات مرة سقطت من السيارة ولم ينتبه والديها لذلك، وأمور أخرى تذكرها كحوادث غريبة تعرّضت لها، ولكن هذه البيئة غير المستقرة على الهامش السيء للمعقول لم تذهب بها إلى مصائر محزنة، لقد نما وعيها ووعي أخوتها من تلك التناقضات الجارحة التي شكّلت طفولتهم، قرروا الهروب تباعا من جحيم أبويهما، وخاضوا جميعا مغامرة التحليق الحر نحو أحلام قابلة للتحقيق.

في نيويورك، المدينة التي فتحت ذراعيها لجانيت، يمكن لأي شخص في عمر الشباب أن يكسب عيشه، ويتعلّم ويتسلّق درجات السلّم بخطوات ثابتة ليحقق ما يريد. يكفي أن يشدّد على نواياه بعزيمته مرددا «يس آي كان» نعم أستطيع. وهذا كان سلاح الصبية ابنة السابعة عشر عاما، التي رفضت نمط عيش والديها وخيارهما الغريب لبناء عائلة في تلك الفوضى العارمة.

إن شيئا غير مرتبط بالحظ بتاتاً هو الذي جعل الأخوة الأربعة يتماسكون ويستمرون في شقّ طريقهم، لقد أرادوا دائما أن يكونوا في الضفة الأخرى المشرقة من الحياة، عكس ما وجدوا عليه أنفسهم. إنّ الأقدار وفق تعريف جانيت ووولز هي ما نولد ونجد أنفسنا عالقين فيه، شيء أشبه بما قاله الكاتب المغربي محمد شكري في سرد سيرته، لكن متى ما تشكّل المرء تصبح القيادة في يده.

جانيت ووولز

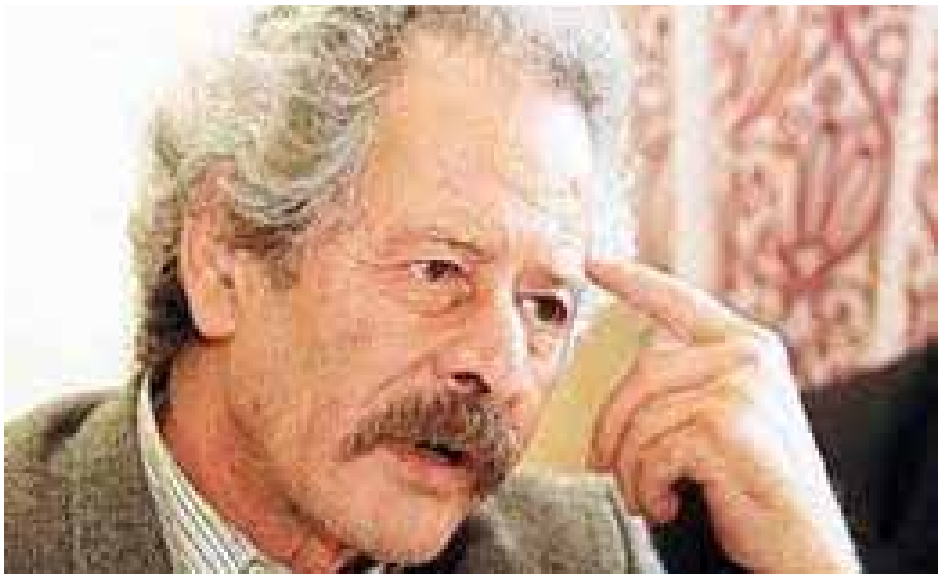

محمد شكري

لم تسأل وولز لماذا قرّر مقسّم الأرزاق أن يقذف بهم في كنف عائلة لا مسؤولة كتلك التي حظيت بها، لقد اعتبرت ما حدث طريقة لرفع التّحدي أمامها وما مدى قدرتها على الخروج من تلك القوقعة المظلمة، وقد فهمت كل الإشارات التي كانت بمثابة شيفرة لبلوغ شاطئ الأمان الذي رسمته لخوض تجربة مختلفة.

في بيئتها الصغيرة عرفت معنى أن تعيش

على الهامش، كما أدركت في مواقف كثيرة أن الهامش خيار لمن يريده، ولأنها خبرت الفقر، والجوع والظلم والخوف والوقوف في مهب التغيرات العنيفة باستمرار اتخذت خيارا آخر تتوفّر فيه عناصر الإكتفاء والعدالة والأمن والاستقرار. اجتهدت وكان لها ما تريد.

النهاية السعيدة في قصّتها لها حتما تأثيرجيد على القرّاء، ما جعل كتابها يتربع على عرش المبيعات على مدى ثمان سنوات، لكن القارئ الغربي عموما يحب أن يتعرّف على أشخاص تمكنوا من التغلّب على محنهم بالمثابرة والاجتهاد. وهذا النّموذج من القصص وإن توفّر لدينا فإنّه يصطدم دوما بمعطيات الواقع السّوداوي التي تجعل القارئ العربي لا يصدّق النهايات السعيدة لقصصنا، حتى وإن اتكّأت على وقائع حقيقية.

ولا أدري، ونحن في زمن تلاقح الثقافات عبر الفضاء الافتراضي، وبروز مؤثرين من كل لون، يشجعون الأجيال الجديدة على مقاومة العقبات وتخطيها بسرد قصصهم، هل سنبلغ تلك المرحلة من تشجيع أدب مغاير لما ينتشر عندنا.

أطرح هذا المعطى بدون تأفف مما هو موجود، كون أدبنا يزخر بتجارب عظيمة لا يمكن التقليل من قيمتها، لكني تساءلت كثيرا وأنا أتقفى مراحل حياة جانيت لو أنها ولدت في بيئتنا العربية بنفس المعطيات هل ستنجو من مستقبل قاتم؟ تلعب العائلة دورا مهما لحماية ورعاية أبنائها، ومع هذا يظل أفق النجاح الباهر لدينا مرتبطا بالحظ، والعلاقات، أتذكرمرة أخرى محمد شكري الذي رغم منجزه العظيم وتحدياته الكبرى لتحقيق حياة مستقرّة وكريمة إلاّ أنّه لم ينج من الدائرة العقيمة التي أحاطت به، إلى يومنا هذا تنهال الشتائم والعبارات البذيئة بكل أنواعها لاعنة روحه، مع أنّه كما قال: « أكلت من القمامة، ونمت في الشوارع، فماذا تريدون؟ أن أكتب عن الفراشات!»

ومحمد شكري ليس نموذجا مَحبطا للغاية فما حققه يبعث على الأمل فعلا، لأنّه عاش في بيئة قاسية بامتياز، أقسى بكثير من حياته بعد أن تعلّم القراءة والكتابة، وصنع إسما كبيرا في سماء الأدب، ولا عتب عليه في الحقيقة، لكن العتب على الناشرين الذين اقتاتوا من لحمه وتعاملوا معه بنكران عجيب، ومثله مثل عشرات الكُتّاب العرب الذين لجأوا لدول غربية منها أمريكا نفسها، وصعب عليهم الإندماج، والتخلّص من حمولتهم العربية الثقيلة من الهزائم، والانكسارات.

يخرج قارئ وولز بكثير من الامتنان بعد قراءة كتابها، ويصفه بالمُلهم، والباعث للأمل في نفوس المكسورين. من خلال قراءتي لمراجعات عديدة قام بها قراؤها على موقع «غودريدز» اكتشفت أنهم أحبوا أيضا طريقة وصفها لمسببات الألم في حياتها دون أن تهمل استخراج جماليات عالية من رحمها، أمّا وعي الطفلة الذي امتلكته باكرا، فذلك ما يمكن اعتباره «هدية ربانية» حقيقية عرفت استخدامها بالاستثمار في كل ما عاشته من أوقات مظلمة وأخرى سعيدة.

في حوار يعود للعام 2017 أجرته معها مجلة « people " أنها كتبت تلك المذكرات بعد أن تأملت تلك الفوضى وتساءلت ماذا يمكنني أن أفعل بها؟ إنها مزيج من الذكريات الحزينة والسعيدة معا ولأنها بكمٍّ هائل من الغرابة كان علي أن أسردها.

ذكرت الكاتبة أيضا كم كان ممتعا أن تحظى بأمٍّ لا تشبه أمهات أترابها المثاليات اللواتي يصعب إرضاؤهن "أمي لم تنتقدني أبدا، لم تخبرني بما تريده مني، لم ترفض أبدا أي شيء فعلته، وبالمقابل هي ليست فخورة بي، أقول ذلك بدون مرارة أو غضب، ليس لديها أي إحساس بالملكية تجاهي" ولكنّها تضيف: "لو عاش أبي لكان فخورا بي، لكني كنت سأكون فخورة بنفسي أكثر لو أني أقنعته بالإقلاع عن الشرب".

تغيرت حياة وولز بعد هذا الكتاب، ارتاحت من العمل الصحفي المنهك، وتفرّغت للكتابة. وابتاعت بيتا كبيرا ومزرعة. بالتأكيد ظلّت تتذكر القلعة الزجاجية التي وعدها والدها بها وظلّ يصممها دون أية نية في تشييدها، لكنّها أدركت في الأخير أن "القلعة الزجاجية" لم تكن تتعلّق بهيكل مادي بقدر ما كانت تدور حول أمل وحلم مستقبل. شيّدت قلعتها الزجاجية بنفسها، ووقفت فيها بكل أسرار عائلتها التي ظنت لسنوات أنها مخجلة.

فصول من الكتاب متوفرة على الأنترنت باللغة الإنجليزية، أمّا الفيلم فمتوفّر على نتفليكس لمن يريد إجراء مقاربة بين المادتين الأدبية والسينمائية.

أما أنا فمريضة بالمقاربات والمقارنات مع أدبنا العربي وبيئتنا العربية وظروف الأدبـاء العرب التي لا تتحسن حتى حين يهاجرون إلى آخر الدنيا.

جبرا المقدسي - البغدادي

لم يصبح جبرا إبراهيم جبرا بستانياً مثل والده الذي كان يزرع ويسقي ويرعى الزهور في»دير راهبات المحبة» في بيت لحم التي ولد فيها، ولكنه أصبح بستانياً في مجال الإبداع، فمنحنا حدائق في الأدب والترجمة والفن التشكيلي، هو الذي أطلق عليه فيصل دراج وصف: المبدع فائض الموهبة، تعبيراً عن تعدد اهتماماته وتنوّع مجالات الإبداع التي طرقها وتألق فيها.

ومع أنه ولد في بيت لحم، إلا أنه ارتبط بحميمية أكبر مع مدينة القدس التي رحلت إليها عائلته بعد وفاة والده، حيث تابع دراسته الثانوية في الكلية الرشيدية والكلية العربية وتخرّج بتفوق، فأوفدته إدارة المعارف لحكومة فلسطين في بعثة دراسية إلى لندن عام 1939 ليدرس في جامعة إكستر، ثم جامعة كمبردج وينال شهادة الماجستير في الأدب الإنجليزي.

عاد بعدها إلى القدس حيث عمل أستاذاً في الكلية الرشيدية، حتى نشوب النكبة الفلسطينية في عام 1948، حيث وجد نفسه مكرهاً على مغادرة القدس، وكانت بغداد وجهته، وهناك عيّن محاضراً في كلية الآداب والعلوم بجامعتها، ثم سافر إلى جامعة هارفارد في زمالة دراسية للنقد الأدبي، ليعود إلى بغداد ثانية، ويمكث فيها حتى وفاته عام 1994.

ارتبط جبرا ببغداد المدينة والبشر والثقافة والفن، حتى غدا من نسيج المدينة التي كانت تزخر بالوعود في كل شيء، فأسس مع الفنان جواد سليم "جماعة بغداد للفن الحديث"، وتولى رئاسة جمعية نقاد الفن في العراق، وكان عضواً في اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق وعضو شرف في جمعية المترجمين والفنانين العراقيين.

في الرواية كتب جبرا: "صراخ في ليل طويل" و"البحث عن وليد مسعود" و"يوميات سراب عفان"، و"السفينة" و"عالم بلا خرائط" بالاشتراك مع الروائي عبد الرحمن منيف، وأضاف إلى المكتبة العربية نحو ثلاثين كتاباً مترجماً من أهمها مسرحيات شكسبير، وكتب سيرته الذاتية في كتابين: «البئر الأولى» و»شارع الأميرات»، عرض فيهما فصولاً شجيّة وشائقة من حياته الحافلة.

لكن جبرا البغدادي، أو الذي أصبح بغدادياً، ظل مقدسياً في عمق روحه، وفي فضاءات أدبه. في سيرته وفي إبداعه نعثر على التجلي النموذجي لسيرة المبدعين الفلسطينيين الذين وجدوا أنفسهم خارج وطنهم، وبعيداً عن بئرهم الأولى. في الأدب الفلسطيني المنتج خارج فلسطين يحضر الوطن في كامل بهائه.

وكان جبرا يقول: "إن القدس هي أجمل مدينة في العالم". وفي التعليق على ذلك قال فيصل دراج: "إن القدس جميلة في ذاتها ، ولكن المنفى أضاف إليها جمالاً آخر"، لأن الأشياء تبدو أكثر وضوحاً حين تغيب عن ساحة الرؤية ، فتلتبس بجمالٍ لا نظير له.

«التحوّل» .. من رسائل انتحار زفايغ

تكسر الحروب أحلام الإنسان وتنجب أياماً سُود لا ظلّ لها غير المعاناة والبؤس، بيْد أن مايخفف من آلام الحرب هو الحب الذي قد يتوهج على ركامها وكأنه نبوءة بأن الحياة مستمرة مهما بلغت قسوتها وقبضت أصابع الموت على الأحياء. ولكن ماذا لو كان الوطن قاسياً في حنوه، حاداً في تجلياته وحماسياً كنشيد سياسي؟ وما الذنب الذي يرتكبه الفرد حين يريد مزاوجة الحبّ بالحرية؟

بتول حميد

مؤلمٌ أن يتم اختزال المرء إلى شيء عديم الجدوى، تتبع ذاكرته الأخيرة آثار الحرب لتسحق قيمة الإنسان البخسة ورخص دمه المسفوح أمام كلاشينكوف ضئيل الحجم وقنبلة نيوترن صغيرة!

يصف الروائي النمساوي ستيفان زفايغ في روايته «التحوّل»، تفاصيل دقيقة لواقع عصره القاسي إذ كشف مدى طغيان أجواء الحرب على مصير الفرد العادي. يقول فرديناند – أحد شخصوص الرواية – معبراً عن وعيه الحاد بخسارات الحرب التي يستحيل تعويضها؛ إن الإنسان ليس سحالي تنبتُ أذيالها بسرعة بعد أن يتم اقتلاعها حين تبتر أجمل سنوات من حياة الرجل فإنه يظل معاقاً إلى الأبد.

يأخذ منحنى السرد اتجاهاً متصاعداً باستثناء ما تكسرهُ الارتــدادات التي تكمل حلقات في هوية كريستين الاجتماعية من ناحية وتسد ثغرات في تركيبة شخصية فرديناند من ناحية أخرى؛ فتنطلق الرواية مقدمة صورة بانورامية عن مكاتب البريد في فيينا.

ويحاول الراوي أن يحدّ من المسافة بين البيئة والمتلقي باستخدامه الضمير المخاطب ثم يزاوج السردُ بالوصف في الإبانة عن خصائص المكان ويُطعم في هذا السياق بمعلومات تاريخية عن الحاضنة المكانية مع الاهتمام بوصف التصميم والأعـراف الاداريـة. وهنا يضعك زفايغ أمام مشهد التشدد البيروقراطي في إشارة إلى أن الزمن يتوقف في هذا المكتب ويكون القانون الأزلي للانحطاط والنهوض مُعلقاً داخل مبنى دائـرة البريد. وربما الغاية من هذه المساورة هو الإيحاء بمشقة عملية التحوّل.

يذهب السرد بعد ذلك نحو الشخصية التي تشكلُ قصتها قوام الرواية الأساسي، الشابة العشرينية الشقراء "كريستين" التي تعيش مع والدتها حياة محدودة الخيارات كأنها قد تشكلت في بيئة باردة رغماً عن الحيوية التي تومض على روحها أحياناً.

تتغيّر حياة أسرة كريستين مع انـدلاع الحرب العالمية الأولى، إذ يُقتلُ أخوها الذي يجندُ في الجيش. وبعد أقل من سنتين يلحقُ الوالد بابنه وبذلك تشتد الأزمة وتضطر الوالدة لإعالة الأسرة ويكون جزءٌ من المسؤولية من نصيب كريستين أيضاً إذ تباشر العمل في مكان ناء.

تبدأ نقطة النحوّل في شخصية موظفة البريد مع تلقي برقية يبدي صاحبها ترحيبه باستقبال كريستين ما أن تصل إلى مكان إقامته، والموقع على البرقية هو زوج خالتها التي هاجرت إلى أمريكا بعد ما ضاقت ذرعاً في بلدها لتتزوج في بأنطوني فون بولن تاجر القطن، وهنا تأخذُ قصة حياة كلارا التي تعرفُ بكلير فون بولن موقعها المؤثر ضمن السرد. كانت كلير تعمل عارضة أزياء في فيينا قبل رحيلها الاضطراري إلى نيويورك، إذ وقع رجل الأعمال الثري في غرامها ما ألهب غيرة زوجته وأطلقت النارعلى العاشقين وبعدما تكتبُ حياة جديدة لها؛ تغادر فيينا قبل أن تتفاقم الفضيحة وتنقطعُ عن أهلها إلى أن تزور سويسرا مع زوجها الهولندي حيثُ تتواصل مع أختها ماري.

تهبّ عاصفة في وتيرة الأيام الرتيبة وتلوح فرصة الخروج من التقييد الوظيفي – ولو مؤقتاً – إذاً تلبي كريستين دعـوة خالتها وتحـلُ ضيفاً في انجادين بدلاً من أمها العجوز. تتخذ شكلاً جديداً من الأزياء والاكسسوارات وتنفتحُ على أجـواء النزل ويعودُ الدفءُ إلى مشاعرها الميتة وتنسب نفسها إلى عائلة فولن بحيثُ ينسى اسمها الأصلي وتهمل مراسلة أمها المريضة ولا تقرأ ما يُكتب لها عن حالتها الصحية. إذ تنغمسُ تماماً بهذا الوسط الأرستقراطي وتنشأُ بينها وبين المهندس الألمـاني علاقة غرامية ويتودد إليها الجنرال الإنكليزي. تلاحظ فتاة مانهايم بأنها لم تعد مثار اهتمام المهندس الألماني بعد أن حلت الضيفة الجديدة مكانها ولا يمرُ كثير من الوقت حتى تكتشفُ الفتاة الأمريكية بأن كريستين لا تعرف شيئاً عن أنماط المجتمع الأرستقراطي، وتدرك وضعها الاجتماعي البائس في القرية وعندما ترفعُ الحجاب عن صورة كريستين الحقيقية يقاطعُ كل من في النزل أسرة فولن، فتزداد مخاوف الخالة بأن تخسر مكانتها الاجتماعية ويتطوعُ شخص بالنبش في ماضيها مثلما بحثت فتاة مانهايم عن جذور ابنة أختها.

تعود كريستين مجبرة إلى حياتها التعيسة في فيينا مكتنزة بالوحشة. يعمق وحدتها موت والدتها، فتصبح شخصية انفعالية يتبدى نفورها من أهالي القرية سريعاً. تتقزز من رائحة زميلها التي كانت تكن له شيئا من العاطفة ومن الثياب الرثة مستذكرة أناقة سويسرا. وما يخففُ من قتامة المكان سوى رحلاتها إلى فيينا كل يوم أحد، مما يوفر لها إمكانية التواصل مع شخصية فرديناند الذي تذوق مرارة الحرب وتتفق آراؤه مع أفكار كريستين التي تدرك عبثية حياتها المرهونة بالمستوى الاجتماعي وقلة تجاربها الذاتية. تمضي أيام قبل أن يتفق الاثنان على نهب خزينة مكتب البريد، وبالتالي ترفع اليد مؤقتاً من على زناد المسدس.

لعل أهـمُ ما في هـذا العمل الـروائـي مونولوج كريستين وهي ترقب جموحها للحياة وعاطفتها المتأرجحة وتوق البشر للمادة والراحة من جهة؛ والأسئلة الوجودية التي يمررها الكاتب على لسان فرديناند الذي يضع كريستين أمام خيارين إما الانتحار أو نهب الأموال من مكتب البريد من جهة أخرى! فمهما كان بينهما شيئاً من الحبّ، تنهش الحرب بأثر رجعي فرص اللقاء. يستحضر إلى ذهنك وأنت تتأمل مفاصل الرواية هو سيناريو الانتحار الذي يختاره الكاتب في منفاه وما يقوله فرديناند أن تفوق الإنسان يكمنُ في قدرته على أن يموت عندما يريد وليس فقط عندما يتحتمُ عليه، فكأنما هو يضمر إشارة لما ينتهي إليه مصير زفايغ.

يجدرُ بالذكر أنّ الاشتغال على البعد النفسي هو ملمح أساسي في روايات زفايغ، وقد يبلغ الشغف بالرواية أقصاه ليكمل المتلقي القراءة في جلسة واحدة ولكن بإمكانه تأملها طيلة حياته! إذ يتفاجأ بارتياد الكاتب لمساحات غير مطروقة في البال.

لا زهور على عتبة بيتي

كولالة نوري *

يقع بيتي في ركن تقاطع طرق
مثل الركن الأخير لعمري،
صغير ومتشعب.
أترك الباب مفتوحًا غالبًا
فلا جواهر أخاف عليها
وعلى العتبة لا أضع الأصيص
الزهور ليست لي
أقول للسلم الخشبي ..
إنها للنساء المهندسات لخطوط عرض الزواج
وطول علاقاتهن السرية.
إنها ليست لي
الزهور قلق هادئ يتعلق بتفكير دقيق حول الماء،
وأنا محيطات لفوضى دمع في الجِهات كلها.
زهور العتبات رقيقات ومُغنجات
وأنا غابة من تحديقٍ حاد لا أنعس،
أتنزه مع الزواحف ً
وأتعشى شهابًا من أرواح أصدقاء موتى،
الزهور ليست لي،
لقد ثُكلت مرات
وهم يقطفونها مني
تارةً من أجل جنود يغادرون
وأخرى لجنود عائدين في تابوت.
زهوري هناك يتيمة من ضوء
وأنا يتيمة هنا في بيت على تقاطع طرق
في ركنه المقابل
جارتي التي في عتبة بابها سلال الزهور ،
التي لا تعرف الحرب
وتعرّف الحياة بخط مستقيم.
بينما أعرّف الحرب كثيمة لنجاةٍ ما.

* شاعرة عراقية

واحة الفكر

بنيّة الدولة السوفيتية ١ - ٢ «مقتطفات»

جون ريد

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

[كان جون ريد صحفياً أمريكياً، وُلد في أوريغون عام 1887 وتوفي في جمهورية روسيا السوفيتية عام 1920. شارك ريد الثورة الروسية في 1917 وكان أحد مؤيدي البلاشفة. ألف أهم كُتبه التي تشهد على وقائع ثورة أكتوبر (عشرة أيام هزت العالم). نرفق هنا مقتطفات من مقالته (بنيّة الدولة السوفيتية) التي نشرها في مجلة (The Liberator) في 1918، والتي أصبحت تابعة للحزب الشيوعي الأمريكي فيما بعد. أحد الأسباب التي تدفعنا لترجمة بعض الوقائع التي كتب عنها ريد حول بنية الدولة السوفيتية هو ضرورة التفرقة بين الاشتراكية العلمية التي تدعو إلى إلغاء المُلكية الخاصة، والدولة، والطبقات، والتي تدعو إلى استبدال البرلمان البورجوازي بالمجالس الشعبية (كما هو واضح في طبيعة الاشتراكية السوفيتية)، وبين الاشتراكية الإصلاحية التي تؤمن بدولة "الشعب كله"، ونظام العدالة والمساواة، ومعها الكثير من الهراء اليوتوبي والأوهام التي يقع فيها بعض الذين يسمون أنفسهم "اشتراكيين".

الدولة السوفيتية

يُنتخب النواب من كُل أنحاء روسيا للمؤتمر السوفيتي الروسي–الشامل مرتين كل عام على الأقل. نظرياً، يُنتخب هؤلاء النواب عبر إنتخابات شعبية مباشرة: فمن المحافظات، نائب واحد لكل 125 ألف من الناخبين. أما من المدن، نائب واحد لكل 25 ألف. لكن عملياً، يُنتخبون عادة من قِبل المحافظات وسوفييتات مجالس المدن. من الممكن أن تعقد جلسة استثنائية للمؤتمر في أي وقت، إن جرى الإتفاق عليها من قبل اللجنة التنفيذية المركزية الروسية – الشاملة أو إن طالبت بها السوفيتات في حال مثلت ثلث الشعب العامل في روسيا.

يلتقي هذا الجسم السياسي، الذي يتضمن ما يقارب ألفي نائب، في العاصمة كسوفيت شامل؛ وهناك يتمّ العمل على قرارات تخص السياسات القومية. ينتخب هذا الجسم لجنة تنفيذية مركزية، كاللجنة التنفيذية المركزية التابعة لسوفيت بيتروغراد، وهذا بدوره يدعو النواب من كُل اللجان المركزية التابعة

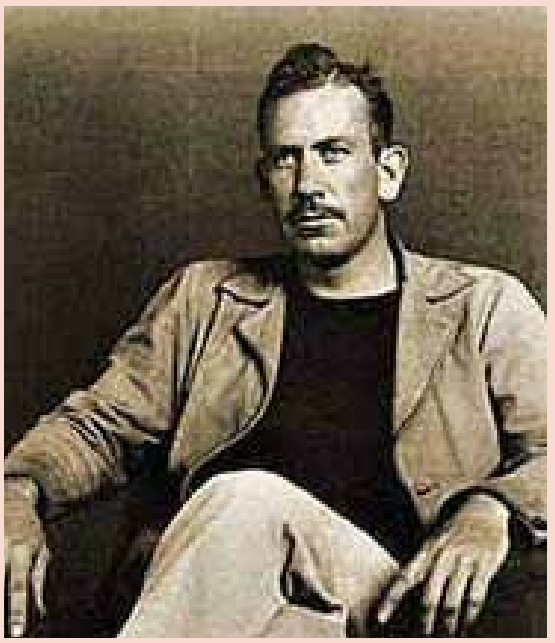

لكل المنظمات الديموقراطية.

هذه اللجنة المركزية التنفيذية الجامعة هي أشبه ببرلمان الجمهورية الروسية. وتتضمن ما يقارب 350 شخص. وتعد السلطة العليا في المؤتمرات الروسية؛ ولكن لا يُمكنها أن تعمل خارج الحدود الموضوعة لها من قِبل المؤتمر السابق، وعليها أن تنفذ بشكل صارم كُل مسؤولياتها حتى المؤتمر القادم.

على سبيل المثال، يُمكن للجنة التنفيذية المركزية أن تأمر، وهذا ما حصل في الواقع، بأن يتم التوقيع على معاهدة سلام مع ألمانيا. ولكن لا يُمكنها أن تلزم روسيا بهذه المعاهدة إلا بعدما يصدق عليها المؤتمر الروسي–الشامل، إذ إنه الوحيد الذي له السلطة للقيام بذلك.

تنتخب اللجنة المركزية التنفيذية من اعضائها 11 قوميساراً مفوضاً ليكونوا رؤساء لجان مسؤولة في مختلف الجهات الحكومية؛ بدلاً من الوزراء، كما كان عليه الوضع في السابق. يُمكن إقالة هؤلاء القوميسارات في أي وقت، إذ إنهم يرجعون إلى اللجنة التنفيذية المركزية. ينتخب القوميسارات رئيساً؛ ومنذ أن تأسست الحكومة السوفيتية كان هذا الرئيس هو نيقولاي لينين. لنفترض بأن قيادة لينين لم تكن مُرضية، يُمكن إقالة لينين في أي وقت عبر مندوبي أو نواب الشعب الروسي، أو في بضعة اسابيع مباشرة عبر الشعب الروسي نفسه.

إن الوظيفة الرئيسية للسوفيتات هي الدفاع عن، وتقوية، الثورة. إنها تعبر عن الإرادة السياسية للجماهير، لا في المؤتمرات الروسية–الشاملة وحسب، ايّ الأمة كلها، بل في محافظاتها الخاصة، ايّ في الأماكن التي تطغي فيها سلطتها. يرجع وجود اللامركزية هذه إلى حقيقة أن السوفيتات المحلية هي التي تؤسس الحكومة المركزية لا العكس. لكن رغم الاستقلالية المحلية، تعتبر قرارات اللجنة التنفيذية المركزية، ومعها أوامر القوميسارات، شاملة على البلد كله. وذلك لأن في ظل الجمهورية السوفيتية لا توجد أي مصالح فردية أو جزئية منفصلة؛ وبالتالي، قضية الثورة هي سيان في كُل مكان.

الرقابة العمالية

تتحكم الدولة بالصناعة (ايّ، العمل والإنتاج) عبر هيئة تسمى بمجلس الرقابة العمالية. هذا الجسم المركزي، ومقره في العاصمة، يتكون من نواب تم إنتخابهم من قِبل المجالس المحلية للرقابة العمالية، وهي بدورها مكونة من لجان المصانع، ومسؤولي النقابة الاحترافية، والمهندسين التقنيين والخبراء. تدير لجنة تنفيذية مركزية معينة شؤون كُل محافظة، المكونة من العمال، ولكن الغالبية تتكون من عمال من مقاطعات اخرى، وذلك كي لا تكون قراراتها منحازة بفعل مصالح جزئية مختلفة.

... ويتبع مجلس الرقابة العمالية ما يسمى بغرفة التأمينات. فالعمال مؤمنون ضد العطالة، والمرض، والشيخوخة، والموت. كُل الاشتراكات مدفوعة من قِبل صاحب العمل نفسه؛ سواء أكان صاحب عمل فردي أو الدولة نفسها. أما التعويضات التي تسدد للعامل فهي دائماً المبلغ الكامل لأجره. (يتبع في العدد القادم).

شخصيّات محطات تاريخيّة

الاتحاد الوطني لطلبة البحرين

رضي السمّاك

يصادف في الخامس عشر من شهر فبراير الجاري مرور نصف قرن على تأسيس الإتحـاد الوطني لطلبة البحرين، إذ إنعقد مؤتمره التأسيسي في دمشق في الفترة من 15- 25 فبرير عام 1972، ولا يخلو تاريخ أنعقاده من دلالات تاريخية عربية، إذ تزامن التأسيس مع الإنتفاضة الطلابية المصرية التي تفجرت في يناير من العام نفسه احتجاجاً على قرار الرئيس السادات تأجيل حرب تحرير سيناء، كما تصادفت الانتفاضة مع ذكرى «يوم الطالب العالمي» الذي قرره اتحاد الطلاب العالمي ليكون في 21 فبراير تخليداً لشهداء الانتفاضة الطلابية المصرية 1946 ضد السلطة الاستعمارية والتي لعب اليسار خلالها دوراً محورياً في تأسيس «لجنة الطلبة والعمال».

والحال لم يكن قيام الأتحـاد إلا تتويجاً لتاريخ عريق من الحركة الطلابية البحرينية منذ أربعينيات القرن العشرين، والتي أخذت تتبلور تنظيمياً بدءاً من الخمسينيات في شكل روابط طلابية. وفي هذه العجالة سأكتفي بابداء شهادتي المتواضعة كشاهد عيان عايش التجربة في «فرع القاهرة» منذ بداياتها إثر التحاقي بجامعة القاهرة خريف 1972، وكان هذا الفرع من أبرز الفروع الكبيرة التي لعبت دوراً نقابياً مهماً في الدفاع عن مصالح وحقوق الطلبة في الخـارج، وقبل ذلك عندما كان «رابطة طلابية» أمتلكت هذه خبرات كانت معيناً لسفارتنا في القاهرة عند تأسيسها في الكثير من المواقف، ومن ذلك كيفية التصرف مع حـادث وفـاة أحـد المرضى البحرينيين بالقاهرة (الحـاج حسن راشد العالي) عام 1971، وقد أشار إليها لماماً الاستاذ تقي البحارنة في مذكراته «مذكرات سفير البحرين والخليج العربي في عهد الاستقلال». أما أبرز المطالب النقابية التي تقدّم بها فرع القاهرة للسفارة وتحققت والتي تناولها السفير في مذكراته نفسها: توفير سكن خاص للطالبات البحرينيات، توفير مواصلات للطالبات مجانية للجامعات، توفير الضمان الصحي والعلاج المجاني.

ويمكن القول إن الخمس سنوات الأولى من عمر الاتحاد (1972-1976) وهي المدة التي أمضيتها للدراسة في القاهرة هي نفسها الفترة الذهبية لنفوذ وقوة الاتحاد داخلياً وخارجياً،لكن بعد حل البرلمان صيف 1975 وحملة الاعتقالات التي طالت مختلف القوى الوطنية أنعكس ذلك على وضع الاتحاد؛ إذ تعرض نشطاؤه للاعتقالات أوسحب جوازات سفرهم، ثم جاء تأسيس الأندية-الممولة حكومياً- ليشدد الحصار والعزلة على الاتحاد ويضعفه تدريجياً حتى جاءت نهايته الفعلية في أواسط الثمانينيات تقريباً.

على أن مسيرة الإتحاد، رغم ثراء تجربتها التاريخية، لم تخلُ من سلبيات وثغرات خطيرة لعل أهمها:

1- كان الاتحاد – كمنظمة نقابية طلابية – مسيساً حتى النخاع بسبب صراع أطرافه الوطنية المرير ضد بعضها بعضاً، حتى بات هذا الصراع لا يطغي على نضالاته النقابية فحسب، بل وعلى نضاله الوطني المشترك، وعلى أهتمامات نشطائه بتحصيلهم العلمي، وتتحمل التنظيمات السياسية الوطنية مسؤولية كبيرة؛ لدورها في دفع منظماتها الطلابية والشبابية لهذه الوجهة التسييسية للأتحاد.

2- إن تغييب مبدأ النسبية في الانتخابات الطلابية للفروع والمؤسسات القيادية للاتحاد ساهم بدوره في تأجيج الصراع، على عكس لو جاءت التشكيلات الادارية المنتخبة تعكس نسبة أصوات كل طرف طلابي لربما خففت من حدة الصراع بين أطرافه .

3- لم يقتصر الخلل الذي أعتور مسيرة الاتحـاد- كمنظمة نقابية تقدمية – على محاولة كل طرف أحتكار القيادة وأقصاء الطرف الآخر في فروعه ومؤسساته القيادية فحسب، بل كان لافتاً بشكل فاضح تغييب تمثيل المرأة – بشكل ولو شبه متكافيء – في إدارات فروعه ومؤسساته القيادية، بل وطوال مسيرة الاتحاد لم تُنتخب طالبة واحدة لهيئته التنفيذية قط! ويتحمل هذا الوضع المعيب ليس الأطـراف الطلابية الذكور الفاعلة في الاتحاد فحسب، بل وبالدرجة الأولى الطالبات الفاعلات في الإتحاد واللواتي يُفترض تمتعهن بوعي سياسي عالٍ فيما يتعلق بمبدأ المساواة.

ولا يسعني ختاماً إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل للأصدقاء الأعزاء عباس هلال وفؤاد سيادي وعلي حسين لمساعدتهم لي في استذكار وتوسيع بعض المعلومات.

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 171 ـ فبراير 2022 السنة عشرون SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

الغزال

نص: زهران القاسمي

أيها الغزال
ها أنت تجلس الآن في مقهى
وقد وهبت عينيك
لامرأة
فقدت عقلها في العشق
فأمست شاردة
تضع قطعة سكر
ثم تسمح لرائحة الشاي
الولوج إلى عالمك
الصحاري والشجيرات الصحراوية
أخطار السباع والقناصين
الليالي المقمرة وأغاني كائناتها
شارد أنت أيها الغزال
بينما تستمع إلى أغنية لا تفقهها
لكن تأخذك موسيقاها
إلى حتمية النجاة والفرار

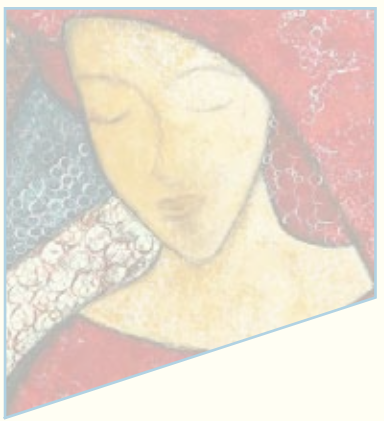

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com